(قم، ٢٠٠٧-١٣٨٦ ش) ترجمة عدد كبير من القطيفيين والإحسائيين الذين درسوا في النجف غالبا، ومنهم المدرس، والمؤلف، والشاعر.

قبائل العرب الشيعة في البحرين، والإحساء، والقطيف

قبائل العرب الشيعة في البحرين، والأحساء، والقطيف:

إن الكثير من الطوائف والجماعات التي عاشت وتعيش في منطقة البحرين، والأحساء، والقطيف، تنتمي إلى عبد القيس بطريقة أو بأخرى.

وقد كان أبناؤها يتواجدون في هذه الناحية ما قبل الإسلام، ودائما ما كانوا يعرفون بالتشيع، مثال: آل الخنيزي، وآل الجشي، وآل بن جمعة، وآل الصادق، والشعبان، والعامر، والحسن، والحدب، والعوض، والنويحل، والحجي، والعبدي، والغزال، والصباع العليو. فهؤلاء كلهم يعيشون اليوم في قرى وبلدات الأحساء والقطيف، وغالبا ما يعرفون بهذه العناوين.

وفضلا عن عبد القيسيين، هناك طوائف وعوائل أخرى شيعية كثيرة تتواجد في هذه المنطقة، وتسكن في مدنها وقراها الشيعية. منها:

آل الهلالي: وينتسبون إلى قبيلة بني هلال العربية الأصيلة من فرع كان يسكن الحجاز منذ القديم. ونزح بعض أفراده إلى مدينة الهفوف. وفي أواخر العهد العثماني إنتقلوا إلى الجنوب العراقي فسكنوا في ناحية الزبير التابعة لمدينة البصرة. وفي إمارة خزعل لإقليم خوزستان، انتقل جدهم إبراهيم إلى المحمرة. وبعد حفنة من السنين عاد إلى البصرة مرة أخرى بينما تحول بعض أقاربه إلى أسوق الشيوخ التابعة لمحافظة الناصرية. وممن برز منهم الشيخ عبد الحميد بن إبراهيم الهلال من بني هلال (ت ١٤٠٦).

آل محروس، وآل البلادي، وآل الحاجي، من الشيعية الأصليين، قدموا من أوال. واليوم يوجدون في البطالية بالأحساء.

آل اللويمي: من بني لام، عرب أقحاح. منهم الشيخ عبد الحسين اللويمي (ت ١٢٤٥). يقطنون في البطالية بالأحساء، وبسبب الضغوط التي مورست ضدهم، اضطر الشيخ عبد المحسن اللويمي إلى الهجرة إلى إيران مع عدد من أقربائه، ونزل في مدينة سيرجان، وبنى فيها مدرسة علمية. وذريته موجودة إلى اليوم في سيرجان ويعرفون بـ آل محسني.

آل أبو سعود وآل نصر في سيهات، وآل علم في العمران بالأحساء، وكذلك آل العباد في الأحساء. هؤلاء كلهم أبناء عم.

السادة: وهم يكثرون في صفوى، وهم موسويون ينتمون إلى الإمام موسى الكاظم. قدم سادة صفوى منذ قرون من جد حفص بجزيرة أوال. ولما حدثت في المنطقة فتن طائفية فر الكثيرون منهم بعقيدتهم إلى العراق وإيران. ولا يزال العديد منهم يسكن خوزستان.

آل مير: قبيلة شهيرة يسكنون البحرين منذ ١٦٠سنة في قرية جد حفص، والآن تسكن أسرة منها في صفوى من القطيف، ويرجع نسبهم إلى السيد محمد المجاب ابن الإمام الكاظم. وأصلهم من العراق.

المرهون: هي إسرة مرهون بن خالد بن حديد بن حمير. وآل المرهون قبائل وبطون وأفخاذ كثيرة متفرقة في عدد الأمصار كالقطيف والأحساء وصفوى والكويت والبصرة والبحرين.

آل العصفور: بقايا دولة العصفوريين التي حكمت بعد العيونيين. ولا يزال الكثير منهم في أوال البحرين. ومعلوم أن بني عصفور يرجع نسبهم إلى بني عقيل بن عامر بن صعصعة بن هوازن العدنانيين من بني عبد القيس وهم يسكنون الأحساء وصفوى.

آل النمر، وآل الفرج، وآل الزاهر، وهؤلاء قحطانيون قدموا من قرية الأسلمية بنجد. ومن آل النمر ظهر العلامة الشيخ محمد بن نمر العوامي (١٢٧٧-١٣٤٨هـ).

آل الزاهر: وهم غير المذكورين آنفا. فهؤلاء من بني عبد القيس بن أسد بن ربيعة. ومنهم الشاعر والأديب الحاج علي الزاهر.

العاراجنة: قدموا إلى العوامية في المدة نفسها مع آل ثويمر وينتمي هؤلاء إلى الهواجر.

آل تحيفة: وآل درويش، نسبهم واحد. وهم قحطانيون وأبناء عم. وكان استيطانهم في العوامية أكثر من ٣٠ سنة تقريبا أي قبل الوجود السعودي الأول.

آل بو خمسين: قدموا في أواخر القرن التاسع الهجري. وأول ما سكنوا قرية الجبيل الأحسائية ثم انتقلوا إلى الهفوف وبرز منهم عدة علماء، مثل الشيخ موسى بوخمسين الذي تولى منصب القضاء الجعفري بالأحساء. وتوجد مجموعات من آل بوخمسين تسكن خوزستان في إيران.

آل شباط: من بني خالد، ومنهم الشيعة والسنة. اشتهروا بصناعة النسيج وحياكة الأقمشة قديما. وعلى يدهم اشتهرت العباءة الأحسائية.

وفي الأحساء كذلك يسكن بوحليقة، وآل خرس، وآل عمران الذين لهم أبناء عم يحملون الاسم نفسه من أهل السنة.

آل رمضان: وينتمون إلى بني خزاعة، ونسب جدهم رمضان بن سلمان بن عباس يعود إلى شاعر أهل البيت المعروف دعبل الخزاعي، وقد هاجر رمضان من العراق إلى البحرين ومعه اثنان من أخوانه إلى الأحساء، ومنهم الشيخ علي بن الشيخ محمد الرمضان المقتول شهيدا سنة ١٢٦٥ هـ.

آل الصحاف: يعود نسبهم إلى ربيعة، ولهم وجود مرموق في الأحساء، والكويت، ولهم امتداد في البحرين، والقطيف، وفي البصرة، وسوق الشيوخ في العراق، وهي من الأسر العلمية الجلية التي أنجبت العديد من العلماء والشعراء، منهم الشيخ كاظم الصحاف الشاعر المعروف.

آل مبارك: ينتمون إلى بني حنظلة بن مالك، ولهم أبناء عم من أهل السنة.

آل حاجي: من الأسر الجليلة في الأحساء، ونسبهم إلى الإمام الكاظم أجلى وأوضح نسب، وهم سادة عرب أقحاح استيطانهم في الأحساء قديم، وأول من نزح إلى البلاد من المدينة المنورة، هو جدهم السيد أحمد المدني في القرن الثامن، وكانوا مايزالون يقيمون في قرية التويثير بالأحساء. وقد نزح بعضهم إلى إيران واستوطنوا بلدة مهر من توابع شيراز وعرفوا فيما بعد بآل المهري، منهم آية الله السيد عباس المهري، وهو أحد العلماء الشيعة المعاصرين في الكويت.

آل السيد خليفة: وهم موسويون ينتمون إلى الإمام موسى الكاظم، ومنهم السيد خليفة الأحسائي (١١٩٥-١٢٧٩) وهو

من كبار العلماء في عصره. كان يسكن عدد منهم في النجف والبصرة.

آل الفضلي: نسبة إلى فضل بن ربيعة جد قبيلة الفضول المعروفة التي هي إحدى بطون قبيلة طيء العربية المشهورة. وآل الفضلي، وآل علي، والعباد، والسليم الموجودون اليوم في العمران كلهم قبيلة واحدة. وجدهم هو عمران بن فضل كان قد نزح من نجد إلى الأحساء في سنة ١٠٥٠ هـ، وبعد استقراره في الطرف الشرقي من الأحساء عرفت المنطقة باسمه فأطلق عليه العمران.

آل علي: هناك آل علي آخرون يسكنون قرية المركز، وجدهم محمد العلي من قبيلة حرب.

آل الشخص: وهم موسويون وجدهم السيد أحمد المدني، برز منهم عدة علماء ومشاهير.

البقشي: من سبيع، واشتهروا بتجارة الذهب، والأقمشة، ويسكنون جميعا الرفعة الوسطى بالهفوف.

آل إبراهيم: قبيلة كبيرة من طي نزحت من حائل إلى المنطقة الشرقية، وإلى العراق. يستقر فريق منها في الأحساء، وآخر في مختلف مدن جنوب العراق. والموجودون في الشرقية يسكنون في صفوى، والكويكب، والمسعودية من القطيف.

المحسني: يرجع نسبهم إلى ربيعة نزار. وجدهم هو محسن بن الشيخ علي الأحسائي. نزح عدد منهم إلى الدورق (الفلاحية) في إيران إثر الاضطرابات والفتن الطائفية. ويوجد من أبناء عمهم وأرحامهم في الأحساء والكويت، ويعرفون بآل القريني، ولهم امتداد في البصرة.

آل السيد سليمان: من البيوتات العلمية العريقة في الأحساء. ومنهم السيد هاشم سلمان الموسوي الأحسائي (ت ١٣٠٩هـ)، والسيد حسين بن السيد محمد العلي (ت ١٣٦٩هـ) وهو أول عالم إمامي شغل منصب القضاء الجعفري رسميا في الأحساء.

وجد الأسرة وهو السيد محمد كان يقطن في مدينة الحويزة، ثم هاجر منها إلى البحرين في أوائل القرن الثاني عشر الهجري، ومنها إلى الأحساء في سنة ١١٥١ هـ، وسكن في محلة السباسب بمدينة المبرز، ثم انتقل منها إلى المطيرفي إحدى قرى الأحساء.

آل السبعي: من الأسر العلمية الجليلة، وهم اليوم موجودون في قرية الحليلة بالأحساء، وهناك راية تعرف براية السبعي يعتقد الناس بها ويتبركون.

الفضول: أبناء فضل بن ربيعة جد آل الفضل الطائيين، وهم من وجهاء البلاد، كانوا يسكنون في قرية الفضول من القرى الشرقية بالأحساء.

آل زين الدين: ينتمي إليهم الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (١١٦٦-١٢٤١هـ)، وكان آباؤه من رمضان فما فوق كلهم من أهل السنة في البادية. وحدثت منافرة بين داغر وأبيه رمضان، فاضطر الابن إلى الابتعاد عن جوار أبيه، ونقل عائلته إلى المطيرفي، وما مضت إلا مدة يسيرة حتى اعتنق داغر مذهب الإمامية.

الجمازي: نسبة إلى جماز بن إبراهيم من ذرية محمد العابد بن الإمام الكاظم، وموطنهم القارة والتويثير، وأصلهم من المدينة المنورة. لا وجود لهم الآن في الأحساء، ولعل لقبهم قد تغير.

آل خليفة: أسرة معروفة في الأحساء ذات شأن ومقام بين الناس. منهم العلامة الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن خليفة ممثل آية الله الحكيم، وآية الله الخوئي. ومعظمهم اليوم في المبرز، وبعضهم في الدمام.

آل المزيدي: أسرة معروفة في الأحساء والكويت ونزح بعضهم إلى خوزستان في أواخر القرن الثالث عشر الهجري. أصلهم من دينة الهفوف.

آل الكعبي: ينتهي نسبهم إلى كعب بن عامر رئيس قبائل كعب العربية المشهورة. ومنهم الشيخ هاشم الكعبي.

آل السلطان: في الأحساء من الوداعيين الدواسر ينتسبون إلى جذمى العرب (عدنان، وقحطان)، والدواسر قسمان دواسر بن تغلب بن وائل العدنانيون، وآل زايد. والدواسر من نجد من أصل قحطاني، وأكثر مناطقهم في الدمام والخبر. وقد لجأوا إلى هاتين المدينتين بعد خلافهم مع حكومة البحرين. منهم الشيخ جواد عايش السلطان.

آل سنان، وآل المرزوق، وآل الناصر: أبناء عم هاجروا من حمير قبل مئات السنين، واستوطنوا قرية أبو معن المعروفة وكانت غنية بالمياه، وبعد أن طمرتها الرمال هاجروا إلى القطيف، والأوجام، والصفوى.

كانت هذه تفاصيل عن العوائل العربية الشيعية في الأحساء، والقطيف. ولا شك في أن هناك الكثير من الأسماء الأخرى. ومن شأن هذه المعلومات تقديم أفكار عن هجرة القبائل العربية وتنقلها في المناطق والبلدان العربية.

شيعة الشرقية في العقود الأخيرة

تُعدّ المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية شيعية السكان والتكوين. وإن كانت تحتضن أعدادا من السنة منذ القدم، ولكن صعود الوهابيين إلى كرسي السلطة، دخل الشيعة في غياهب الضغوط الطائفية والسياسية لزمن طويل.

فالوهابيون لم يعاملوا الفكر الشيعي إلا كأحد أهم أعدائهم، وقد أماطوا اللثام عن هذا العداء في أولى عهود سيطرتهم على النجد عندما شنوا غارة على العتبات المقدسة.

ومنذ أن تولى الوهابيون السلطة، لم يكف علماؤهم عن ممارسة الضغوط على المجتمع الشيعي، ولم يتراجعوا يوما ما عن تكفير الشيعة. فقد حرموا الشيعة من ممارسة شعائرهم المذهبية، وهذا ما نصت عليه أولى قراراتهم في اجتماع سنة ١٩٢٦-١٩٢٧، وأعلنوا بأنه في حال استمرار الشيعة بممارسة شعائرهم، سينفون من بلاد المسلمين.

وفي المرحلة نفسها أدى فرض الفقه الحنبلي على جميع قوانين المملكة السعودية، إلى خلق مشاكل ومتاعب ليس للشيعة فقط، بل لأتباع المذاهب الأخرى أيضا. فمثل هذه الفكرة في المذهب الوهابي تقوم على أساس تكفير الآخرين، وهو النهج الذي سار عليه معظم علمائه، وطبق، حتى المرحلة الأخيرة، لاسيما ضد الشيعة، ويمثله فتاوى بن باز والشيخ جبرين.

وفي منظار الوهابيين، وحتى الدولة الوهابية، عُدّ الشيعة من أهل الشرك، ولاسيما في أولى عقود الدولة السعودية، والمعاملة التي كان يلقونها، لم تكن إلا عبر هذه الزاوية.

ومن ناحية أخرى، فقد بدأ الوهابيون بمحاولات لتوطين

السنة في المنطقة الشرقية بعد قيام دولتهم، وبعد العثور على النفط فيها. والموقع الاستراتيجي للمحافظة الشرقية بسبب ذلك، ضاعف اهتمام السعوديين بها. وفي المقابل، أدى الوضع المتردي للشيعة عند ارتفاع عائدات النفط السعودي، إلى خلق عامل قوي لتصاعد احتجاجاتهم.

لم يحظ الشيعة بأية مشاركة في الشؤون السياسية، ولا يزالون، ولم يوفر ويتوفر لهم قاعدة وخلفية للنمو الاقتصادي، أو لتولي المناصب المهمة. ومن ثم كانت الأجواء والظروف ممهدة مذهبيا واقتصاديا لاعتبار النظام السعودي غير شرعي من وجهة نظر الشيعة.

فالمنع المفروض على الشيعة والتشيع، وحظر ممارسة الشعائر الشيعية، دائما ما كان يمثل مبدأ للدولة السعودية، وحتى السنين الأخيرة لم تسمح قيام مراكز، ومساجد، وحسينيات شيعية ذات نشاط. وممارسة هذه الضغوط، ولاسيما شعور الشيعة بالتعرض للتمييز والاضطهاد، أدت إلى خلق جو من التشاؤم على نطاق واسع. ويضم كتاب الشيعة في المملكة السعودية (حمزة الحسن، ١٤١٣) تفاصيل عما قام به الشيعة من نشاط واسع لإيصال معاناتهم إلى الدولة السعودية، والوثائق ذات الصلة بهذا الشأن.

وفي منتصف السبعينيات، قاد بعض رجال الدين الشيعة السعوديين في الكويت حركة إبداعية في حقل التعليم والتربية الإسلامية الشيعية. وقد بدت الآثار المباشرة لهذه الحركة واضحة في أوساط الشباب السعوديين. ومن القيادات الفكرية للمرحلة الجديدة الشيخ حسن الصفار، وتوفيق السيف. وقد لعبت مؤلفات الشيخ الصفار دورا مهما في تمهيد سبيل التطور في حوالي سنوات ١٩٨٢-١٩٧٦.

وقد تركت الثورة الإسلامية في إيران تأثيرها الخاص على المنطقة، ولاسيما على الشيعة. والمحافظة الشرقية كانت من المناطق التي تأثرت بشدة.

وإبان سنوات الثورة الأولى، توجه عدد من قيادات المنطقة الشرقية نحو الفكر الثوري، وقاموا بالعديد من الأنشطة، كان منها تأسيس منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية.

ولم تقف الدولة السعودية مكتوفة الأيدي تجاه هذه النشاطات، إذ قامت بقتل واعتقال عدد من القياديين الشيعة.

هذا وقد بادر أكثر من ٧٠ ألف شيعي إلى تنظيم احتجاجات واسعة في مختلف نقاط الشرقية في المحرم ١٤٠٠ هـ/ تشرين الثاني ١٩٧٩. وأدت الاحتجاجات إلى مواجهات مع القوات السعودية الحكومية، إذ استشهد أكثر من٠ ٢ شيعيا على يد الحرس الوطني السعودي (شيعيان عربستان، ١٢٥-١٢٤). وتعرف هذه الحادثة كانتفاضة في تاريخ الحركة الثورية لشيعة المحافظة الشرقية.

بدأت منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية بقيادة الشيخ حسن الصفار وآخرين، نشاطا سياسيا متواصلا للحصول على المزيد من الحقوق في سنة ١٩٨٠ وما بعدها، لكنها جوبهت بقمع شديد من قبل قوات الأمن السعودية. ومن ثم تراجعت حدة هذه المحاولات والأنشطة تدريجيا. ومع هذا، ترك التشيع الثوري تأثيرات شديدة على المجتمع الشيعي في إطار التعاليم التي كانت تروجها منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية.

وقد حل المنهج الإصلاحي محل الأسلوب الثوري السابق تدريجيا، وذلك خلال سنوات ١٩٨٩ حتى ١٩٩٣، ثم بات الحوار والتعامل تحقيقا لامتيازات أكثر، الخط العام للقيادات الشيعية في المحافظة الشرقية.

يومئذ كانت الدولة السعودية تدعي بأن عدد الشيعة في المملكة لا يتجاوز ٣٠٠ ألف نسمة؛ بينما كان الشيعة يقدرونه بحوالي مليون نسمة. وحجتهم في ذلك كانت تقوم على أن العديد من الشيعة قد لجأوا إلى مبدأ التقية وتظاهروا بأنهم سنة حفاظا على مكانتهم الوظيفية وحفظا لأمنهم. فضلا عن أن الدولة لم ترغب يوما ما في المصارحة بهذا الشأن.

وما يقال على وجه التقريب هو أن نسبة الشيعة في الأحساء والقطيف، موطن الشيعة التقليدي، ما بين ٣٣ حتى ٤٠ بالمئة. وهناك أعداد أخرى كثيرة في جدة، والمدينة المنورة، وغيرها من المدن. ما عدا الإسماعيلية الذين يتواجدون في نجران، وجيزان، وعسير، أي في الشريط الجنوبي من الحدود السعودية- اليمنية، ويكونون أقلية بمئات الآلاف. وإن لم توجد علاقة بين الإسماعيلية والإمامية، لكنهم يعدّون جزءا من المكون الشيعي.

ومن الواضح أن الدولة السعودية تفصل نفسها نوعا ما عن بدو نجد، والإخوانيين وعلماءهم الذين كانوا يعتقدون بإبادة الشيعة، وتسعى كدولة شاملة، الى السماح للشيعة بممارسة الحياة في منطقتهم، مع أنها تعمل على تضييق نطاق نشاطهم المذهبي العلني. ولهذا السبب نرى تحسن وضع الشيعة كلما ابتعدنا عن أيام تأسيس الدولة الوهابية؛ إلا أن درجة التمييز الاقتصادي، والسياسي، والمذهبي الممارس ضد الشيعة هي من العمق بمكان، فقد جاء في تقرير إحدى منظمات حقوق الإنسان في سنة ١٩٩٦: مع أن المحافظة الشرقية تُعدّ أغنى محافظات المملكة السعودية من حيث الموارد الطبيعية، إلا أنها من أفقر المناطق في المملكة.

ومقارنة مع غيرها من المناطق في السعودية، فإن ما خصصته الدولة من تكاليف لمشاريع البناء، والطرق، والصحة، والتعليم في المنطقة الشرقية يبدو ضئيلا جدا. فقد قال صحفي بأن بيوت هذه المنطقة تُعدّ دون المعايير الجديدة في السعودية بنحو لا يصدق.

وحتى أوائل الثمانينيات، كانت مدن الصفيح تُعدّ ظاهرة طبيعية، والمدن والبلدات الشيعية كانت لا تزال تفتقد للمرافق الصحية الجديدة الموجودة في الرياض وجدة. وفي سنة ١٩٨٧، قامت الدولة السعودية، ولأول مرة، بالشروع في بناء مستشفى القطيف التي كانت تُعدّ أول المستشفيات الحديثة في المنطقة الشرقية.

وطيلة أكثر من عقد بعد الثورة الإيرانية، تعرض شيعة السعودية لعديد من القيود والتضييقات، وإن كانت الدولة السعودية تحاول وضع حد لأعمال التمرد بتحسين الوضع الاقتصادي في المنطقة الشرقية. وفي هذه المدة مُنِعَ شيعة السعودية من العلاقة بإيران، ولم يسمح لهم بالسفر إليها. وتفاصيل هذه التضييقات ووثائقها هي أكثر من أن تسعها هذه السطور ، ولو بتقديم لمحة سريعة (انظر: الشيعة العرب: المسلمون المنسيون، شيعة السعودية). تزايد الوجود الأميركي في المنطقة بعد الغزو العراقي للكويت. وقاد الأميركيون سلسلة إصلاحات لتجنب قيام ثورات شعبية ضد عملائها في المنطقة، وقد طالبوهم بإعطاء الأقليات مزيد من الحقوق.

وفي إثر هذه التوصيات، بدأت دول المنطقة نوعا من الحركة الإصلاحية ولكن بنحو تدريجي جدا. وقد تركز جزء أساس من هذه الحركة على الاهتمام بحقوق الأقليات، ولاسيما الشيعة الذين كانوا يكونون الأغلبية في بعض المناطق مثل البحرين. وبدأت هذه التطورات واستمرت في الكويت، والبحرين، والمملكة العربية السعودية.

ومن الناحية الأخرى، فإن بعض القيادات الشيعية التي لم تفلح في تحقيق مكاسب وامتيازات تذكر طيلة سنوات الكفاح، حاولت أن تتفق وتتفاهم مع الدولة السعودية على أساس مفهوم مشترك من «المواطنة». وبالتالي وبعد الهدوء والوئام الذي أوصى به العلماء، سمحت الدولة للشيعة أن يستعيدوا تدريجيا نشاط مراكزهم الإسلامية، والشعائرية. فأذنت لهم بإقامة عدد أكبر من الحسينيات، وعاد عمل بعض الحوزات العلمية، وسمح للشيعة بالسفر إلى إيران، حيث فتحت قنصلية للملكة العربية السعودية في مدينة مشهد الإيرانية.

وقد قام العاهل السعودي الملك عبد الله بتوسيع نطاق الإصلاحات تدريجيا، وحاول أن يعطي مزيدا من الحقوق إلى الشيعة تحت شعار الوحدة الوطنية. وقد ظهر مفهوم جديد من القومية السعودية كان من المقرر أن يشمل ويضم جميع الفئات، سنة وشيعة على السواء. ومع أن الحركة هذه تواصلت إلى حد ما بدعم من الدولة، إلا أن المشاكل التاريخية والتقليدية ما بين الشيعة والسنة في المنطقة لا تزال تقف عائقا كبيرا أمام تحقيق هكذا وفاق وتفاهم.

واليوم وبسبب ما يحدث في العراق، و في السعودية، تتواصل الدعاية الإعلامية ضد الشيعة في أرجاء المملكة السعودية كلها، ولم تتراجع فحسب، بل إنها أخذت تتزايد في السنين الأخيرة في إثر قيام حكومة شيعية في العراق.

ومن دلالات النشاط الشيعي الأخير في الفضاء الجديد الذي ظهر في المملكة بمحاولات الدولة، يمكن الإشارة إلى نشر كتب من علماء الشيعة في جدة، وإصدار بعض المنشورات مثل واحة القطيف، ووجود مواقع شيعية إلكترونية نشطة.

والقطيف والأحساء حاليا هما من النقاط التي تحتضن وجوها بارزة من علماء الشيعة، ومن أكثرهم شهرة الشيخ حسن موسى الصفار، الخطيب المبرز، وصاحب التأليفات الكثيرة في مختلف الشؤون الإسلامية. وما عدا العلماء، ينشط المثقفون الشيعة في هذه الديار أيضا، إذ يلعبون دورا في إثراء المنطقة فكريا.

ونخطئ إذا تصورنا انتهاء معاناة الشيعة ومشاكلهم: لكن اليوم ومقارنة بقبل ١٥ سنة، فقد اتخذت بعض الخطوات الإيجابية.

التشيع في البحرين القديمة

إن ما يعرف اليوم باسم البحرين كأرخبيل جزر يقع في حافة الخليج الجنوبية، ليس سوى جزءا من البحرين التاريخية. فالبحرين في المصطلح القديم كانت منطقة ممتدة في ساحل الخليج الجنوبي من البصرة حتى عمان، وكذلك الأرخبيل الذي يعرف اليوم باسم مملكة البحرين التي كان يطلق عليها قديما أوال، يقول عنها ياقوت الحموي: جزيرة يحيط بها البحر بناحية البحرين فيها نخل كثير وليمون وبساتين (معجم البلدان، ٢٤٧/١). وحتى القرن الخامس كان يطلق عليها هذا الاسم، ومنذ تلك الأيام سميت بـ البحرين.

عند ذكر فتحها، يقول البلاذري عن البحرين: وكانت أرض البحرين من مملكة الفرس، وكان بها خلق كثير من العرب من عبد القيس، وبكر بن وائل وتميم (فتوح البلدان، ٨٩).

غالبا ما تشمل البحرين في المصادر القديمة هذه المناطق السكانية والحيوية: أوال، والخط، والقطيف، والأرة، وهجر، وبينونة، والخرارة، وجواثا، والسابور، ودارين، والغابة، والصفا والمشقر، والأحساء. ويطلق عنوان الخط أحيانا على كل الساحل الغربي للخليج الفارسي الممتد من البصرة حتى عمان. وفي بعض المصادر المتقدمة تُعدّ البحرين مكونة من ثلاث مناطق، هي: جزيرة أوال، والخط، أي القطيف، والأحساء، أي الهجر. وينتمي إلى هذه المنطقة أحد أصحاب الإمام علي وشيعته، يدعى رشيد الهجري.

سكنت البحرين قديما ثلاث قبائل عربية عدنانية كبرى هي: بكر بن وائل، وعبد القيس، وتميم. نزحت بكر بن وائل من تهامة وكان مسكنها يمتد من جنوب العراق حتى البحرين. والأمر كذلك لعبد القيس، إذ قيل بأنه كانت تسكن في تهامة واضطرت للهجرة إلى هذه المنطقة بعد أن تنازعت مع باقي المناطق. والهجرة هذه حدثت قبل ظهور الإسلام. أما تميم فقد نزحت من نجد إلى البحرين.

والبحرين الحالية تقع بالقرب من شاطئ الخليج الغربي، وهي مجموعة جزر منها جزيرة البحرين، والمحرق، والسترة. وجزيرة البحرين ترتبط بجسر مع المحرق، وجسر آخر يربطها بجزيرة سترة. أما عاصمتها فهي المنامة، ومن مدنها: الحد، قلالي، البديع، جد حفص، سترة، والبلاد القديم. ويحدها شمالا دارين، والعجيرة غربا، وقطر جنوبا، والخليج شرقا.

ولى النبي (صلوات الله عليه) العلاء الحضرمي ولاية البحرين في العام السابع للهجرة، وبعثه برسالة سلمها إلى حاكمها المنذر بن ساوى التميمي. وإثرها أسلم المنذر، وعدد من القبائل العربية، منها عبد القيس. أما بعض المجوس، فقد بقى على معتقده ورضي بدفع الجزية. وبعد وفاة الرسول صلوات الله عليه، وارتداد القبائل العربية، لم تتراجع عبد القيس عن الإسلام وتمسكت به.

تُعدّ البحرين إحدى المراكز الشيعية العربية الأكثر أصالة، ويعود تاريخ تشيعها إلى القرن الهجري الأول. والفضل في ذلك يعود إلى تواجد عبد القيس، فهم ينحدرون من هذه المنطقة. وقد توجهوا إلى العراق لأمر الفتوحات وغالبا ما كانوا ينزلون في البصرة، وفي موقعة الجمل وقفوا بجانب الإمام علي بن أبي طالب.

كان ذلك بداية معرفتهم بأهل البيت، ولاحقا تحولوا إلى مناصري التشيع وحماته أينما كانوا يحلون. وتكثر أسماء زعماء عبد القيس بين أصحاب الإمام علي، والأئمة الآخرين. ففي وقعة صفين كان صعصعة بن صوحان على عبد القيس الكوفة، وعلى عبد القيس البصرة كان عمرو بن جبلة أخو حكيم بن جبلة (تاريخ خليفة ابن خياط، ١١٧/١) وهو الذي استشهد بيد الناكثين قبيل بدء حرب الجمل رسميا. ولدينا خطب وأقوال كثيرة من صعصعة تثبت تشيعه بنحو جلي (وقعة صفين، ٢٠٦).

وطبقا لكلام الإمام الباقر، فإن عبد القيس التحقوا إلى

صفوف الإمام علي في الجمل ما عدا واحداً (الجمل، ١٥٨). وفي هذه الموقعة استشهد شقيقا صعصعة، سيحان، وزيد. وصعصعة الذي كان يتواجد في الكوفة، نفي إلى أوال بيد المغيرة بن شعبة وبأمر من معاوية بن سفيان، وتوفي هناك (البحرين درة الخليج، ٢٩٠-٢٨٩). يقول النجاشي بأنه روى عهد مالك بن الحارث الأشتر (رجال النجاشي، ٢٠٣). ومرقده في البحرين مزار المسلمين.

وفي يوم الجمل، انضم عمرو بن مرجوم العبدي إلى جيش الإمام علي بـ ٤٠٠٠ رجل. وكان والده، من زعماء عبد القيس قبل الإسلام وبعده (الغارات، ٧٨٤/٢).

وفي الحقيقة، فإن الاستمرار التاريخي للتشيع في البصرة، ومنطقة القطيف والأحساء، والبحرين الحالية، يسير في خط واحد، ألا وهو قبيلة عبد القيس.

قد يمتد خط التشيع هذا إلى كربلاء وثورة التوابين، إذا ما راجعنا سيرة المثنى بن مخربة العبدي وأفكاره. وقد جاء في المصادر ذكر حديثه عند قبر الإمام الحسين قبل توجه التوابين إلى محاربة قتلة الإمام (تاريخ الطبري، ٥٩٠/٥). وكذلك يزيد بن نبيط العبدي الذي أجمع الخروج إلى الحسين وكان له بنون عشرة، فقال لهم أيكم يخرج معي فانتدب معه ابنان له هما عبدالله وعبيد الله (تاريخ الطبري، ٣٥٤/٥).

وهناك من يشير إلى أبان بن سعيد بن العاص عند تناول موضوع تاريخ التشيع في البحرين. وأبان هذا كان يتولى إمارة البحرين من قبل النبي صلوات الله عليه. وقد عارض اختيار أبي بكر للخلافة وترافع عن الإمام علي. وكان عمر بن سلمة، ابن أم سلمة، حاكم البحرين من قبل أمير المؤمنين (مجالس المؤمنين، ٧٥/١).

إذن يتبين لنا بأن البحرين تمذهبت بالتشيع منذ عصرها الأول بعد الإسلام، وهذا التشيع كان يقوم ويستند على أساس قبول ولاية أمير المؤمنين وأهل البيت. وكان يتعرف على التشيع الإمامي من كان يتواجد من عبد القيس أو بني أسد في إيران أو في العراق. ولكن يبدو أن هذه الحركة قد واجهت مشاكل في البحرين لمدة بسبب ظهور القرامطة. ومع ذلك واصل التشيع الإمامي مسيرته في البحرين.

دولة القرامطة

ازدادت حدة الدعاية الإسماعيلية في جنوب إيران، وسواحل الخليج الفربية عندما أخذ نشاط دعاة الإسماعيلية يرتفع في مختلف مناطق العالم الإسلامي.

فقد نجح دعاة الإسماعيلية في كسب ود شيعة هذه المنطقة، وضمهم إلى معسكرهم. وهؤلاء الدعاة كانوا قد دخلوا المنطقة في آخر عقود القرن الثالث عندما بلغوا ذروة نشاطهم، وتمكنوا من بسط قبضتهم عليها بفعل استغلالهم للمشاعر الشيعية السائدة هناك.

قيل بأن ابتداء القرامطة بناحية البحرين انطلق من نشاط رجل يعرف بـ يحيى بن المهدي الذي قصد القطيف، وذكر أنه رسول المهدي خرج إلى شيعته في البلاد يدعوهم إلى أمره، وكان ذلك سنة ٢٨١ هـ. وكان فيمن أجابه أبوسعيد الجنابي (الكامل في التاريخ، ٤٩٧/٧). والقرامطة هم فرع غير رسمي من الإسماعيلية، لم ينصاعوا كثيرا للأئمة الفاطمية بمصر. ومع ذلك سيطروا على البحرين لأكثر من قرنين.

كان التشيع في البحرين أحد العوائق الأساسية أمام تقدم الخوارج الذين استقروا في عُمان في أواخر القرن الأول، ورسخوا قاعدتهم هناك بسبب موقعهم النائي عن المراكز السياسية، لكن تواجد الشيعة في البحرين حال دون تقدمهم في الجزيرة العربية.

وقد واصل أبو سعيد الحسن بن بهرام الجَنّابي (ت ٣٠١هـ) قيادة حركة القرامطة. يقول ياقوت عنه: كان من جنّابة بلدة بساحل بحر فارس، وكان دقاقا فنفي عن جنّابة، فخرج إلى البحرين فأقام بها تاجرا وجعل يستميل العرب بها ويدعوهم إلى نحلته حتى استجاب له أهل البحرين وما والاها (معجم البلدان، ١٦٦/٢).

دارت أولى المواجهات الجدية بين الخلافة العباسية والقرامطة بمنطقة هجر في سنة ٢٨٧ هـ، وانتهت بهزيمة فادحة للجيش العباسي، إذ لم ينج من ١٠ آلاف مقاتل إلا أمير الجيش العباس بن عمرو الغنوي (البداية والنهاية، ٨٣/١١). والعامة في بغداد كانوا يتصورون بأن أبي سعيد اتفق مع مرداويج على رد الدولة من العرب إلى العجم (البداية والنهاية، ١٧٨/١١). هذا في حين أن جيشه كان يقوم على عرب البحرين.

يومئذ كان الناس في القطيف، والبحرين، ومختلف المناطق على التشيع كلهم، ملتزمين بنظرية الإمامة والمهدوية، وتمكن الإسماعيلية، وبعد عمل دعائي دؤوب ومستمر، من جذب سكان المنطقة إلى صفوفهم. وفي مثل هذه الظروف، تكون القرامطة، واستنادا إلى الجماهير، أصبحوا قوة لا يستهان بها، إذ استطاعوا أن يهددوا جنوب العراق، وحتى الحجاز (انظر: تاريخ ابن خلدون، ٤١٤/٤)، كما أنهم استولوا على الكوفة لمدة قصيرة. وتعترف المصادر بأن القبائل العربية المقيمة بالبحرين كانت أهم حماة القرامطة وداعميهم. يقول ابن خلدون: كان بأعمال البحرين خلق من العرب وكان القرامطة يستنجدونهم على أعدائهم ويستعينون بهم في حروبهم (تاريخ ابن خلدون، ٩١/٤). و«أزد» كانت من أهمها. والعجب كل العجب أن عبد القيسيين لم ينضموا إلى صفوف القرامطة، بل إن بيوتهم حرقت ودمرت على يد القرامطة.

خلف أبي سعيد، ابنه سليمان بن حسن أبو طاهر الجنّابي القرمطي، وقاد بعده الدولة القرمطية في اليمامة والبحرين. وما إن مات أبو طاهر في سنة ٣٣٢ هـ، حتى فقدت الدولة هيبتها وذهبت سطوتها بعد ٤٦ سنة.

قرامطة البحرين

الحاكم	السنة
ابو سعيد الحسن بن بهرام الجنّابي (كناوه أي)	٢٨٧-٣٠١
ابو طاهر سليمان بن أبو سعيد الحسن بن بهرام الحجري	٣٣٢-٣٠١
ساربو بن أبي طاهر السليمان الجنّابي	٣٣٢-٣٥٨
أبو القاسم سعيد بن أبي سعيد الجنّابي	٣٥٨-٣٦١
أبو يعقوب يوسف بن أبي سعيد الجنّابي	٣٦٠-٣٦٦
الحسن بن أعصم	٣٦٦-٣٦٧
حكومة من ست أشخاص عرفوا بالـ (ساده)	من ٣٦٧

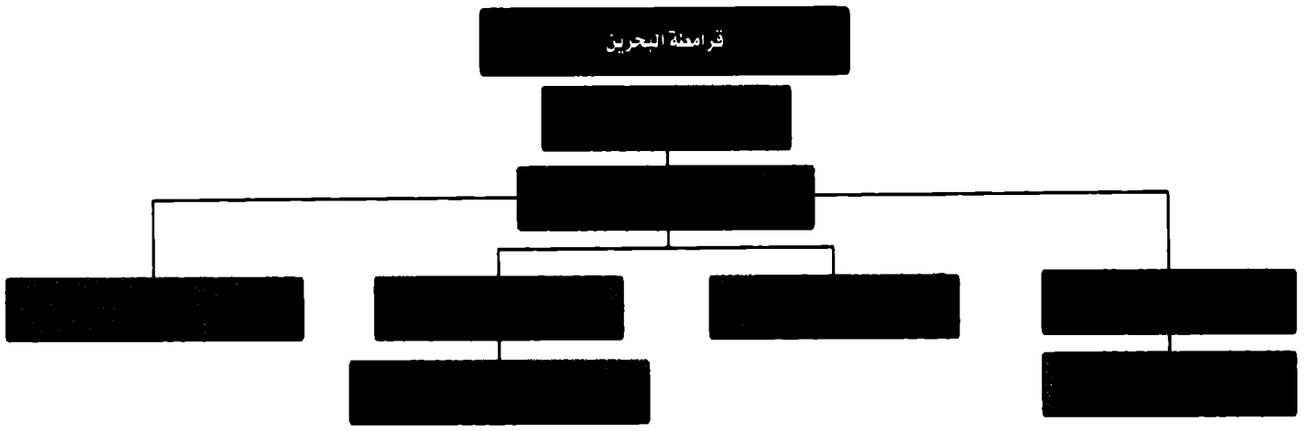

الدولة العيونية الشيعية (٦٤٢-٤٦٦هـ)

لا نعلم على وجه التحديد تاريخ تراجع التيار القرمطي المتطرف في البحرين، وَتَحرر الشيعةِ الإمامية الذين كانوا تحت الضغط القرمطي.

استولى الأصفر بن أبي الحسن الثعلبي سنة ٣٩٨ هـ على القرامطة وملك الأحساء من أيديهم وأذهب دولتهم، واستمرت غلبته على البحرين لأكثر من نصف قرن.

ثم آلت مقاليد الأمور إلى العيونيين الشيعة المنحدرين من عبد القيس من ربيعة بن معد. وقد استولوا على الأحساء سنة ٤٦٦ هـ وأسسوا الدولة العيونية. ومؤسسها هو عبد الله بن علي بن إبراهيم العبدي العيوني الذي نشأ في العيون شرقي الأحساء، وتوفي سنة ٥٢٠ هـ.

وَيُرجّح بأن أيام الدولة العيونية هي التي شهدت طمس معالم القرامطة، وغلبة التشيع الإمامي على هذه الديار نهائيا. امتدت أيام هذه الدولة وطالت حتى سنة ٦٤٢ هـ، أي إنها استمرت لـ ١٧٥ سنة. وكان نطاق حكمها يمتد من الكويت الحالية حتى قبالة ما يعرف اليوم بـ قطر.

صحيح بأن العيونيين أقاموا علاقات جيدة مع العباسيين في البداية بهدف دحر القرامطة، إلا أنهم سرعان ما تنازعوا مع السلاجقة.

وما يهمنا هو حضور التشيع الإمامي ثابتا راسخا بين أغلبية أفراد المجتمع البحريني المنتمين إلى عبد القيس. وقد نقش على جميع النقود المتبقية من الدولة العيونية عبارة «لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله» (انظر: نقود الدولة العيونية في بلاد البحرين، ١٤٣-٨٥ و ٢٠٠-١٩٧). وهذه العبارة نقشها ركن الدولة البويهي على نقوده سنة ٣٣٥ هـ. وما يثير العجب هو أن وجود هذه العملات هو الدليل الوحيد والنهائي على تشيع العيونيين من منظار «الوثيقة التاريخية». وإن كان المهم هو الأجواء السائدة على مجتمع البحرين الذي حفل بالتشيع منذ تلك الأيام، ولم نعرف أية معارضة له.

مما لا شك فيه فأن الدولة العيونية كانت دولة شيعية معتدلة. وَتُبيّن قائمة أسماء أمرائها خلوها من أي اسم يوحي بتسنن حكامها. فاسم «علي» هو الاسم الأكثر تكرارا بين أسماء حكام الدولة العيونية. وأشهر شعرائهم هو علي بن المُقرّب العيوني (ت ٦٢٩- ٦٣١هـ)، وديوانه يكاد يكون تاريخ الأسرة العيونية. وتكثر أشعاره في رثاء الإمام الحسين وأهل البيت (حول تشيع ابن المقرب انظر: فضل بن عمار العماري، ابن المقرب وتاريخ الإمارة العيونية، مكتبة التوبة، الرياض، ص ١٧٣). وقد مدح بدر الدين لؤلؤ الشيعي، صاحب الموصل، وعددا من علماء الشيعة. يقول في ديوانه مشيرا إلى العبديين (ديوان ابن المقرب، ٥٨٩، في القصيدة العينية):

هُمُ نصروا بعد النبي وَصيَهُ
ولا يستوي نَصرٌ لديه وخذلانُ

البحرين بعد الدولة العيونية

شهدت البحرين الكبرى حكم بني عصفور بعد سقوط الدولة العيونية في سنة ٦٢٠ هـ. وقد تأسست دولتهم على يد عصفور بن راشد بن عميرة الذي كان ينتسب إلى بني عامر. واستمر حكمهم على هذه المنطقة حتى سنة ٧٠٠ هـ.

وقد خلفهم أسرة تنتمي إلى جروان بن ناصر من عبد القيس حتى أوائل القرن التاسع، أي حوالي سنة ٨٢٠ هـ.

ثم ظهر سيف بن حسين بن ناصر الجبري، وأسس السلالة الجبرية الحاكمة. وهو الذي شَيّد جامعاً كبيراً في الهفوف، وجعل إمامهُ الشيخ نصر الله الطيار الجعفري، بعد أن دعاه من المدينة إلى البحرين. والشيخ نصر الله هذا جد آل الجعافرة في الأحساء.

واعتبرَ البعضُ المنيزلة، من قرى الأحساء، حاضرة الدولة الجبرية التي ذهبت سنة ٩٦٩ هـ. وطيلة هذه المرحلة كلها، كان التشيع الإمامي يتواجد بقوة في البحرين الكبرى، وبوجه خاص في الأحساء، والقطيف، وجزيرة أوال، البحرين الحالية.

يُعدّ جامع الرافعية في بلاد القديم، قرب سوق الخميس، أقدم المساجد التاريخية في البحرين، بعد مسجد الخميس. وفيه منقوشة بالخط الكوفي نشاهد فيها أسماء «محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين». كذلك نرى أسماء الأئمة في كتابات جامع سوق الخميس، ويعود تاريخها إلى القرن الهجري الخامس.

شجرة نسب العيونية في البحرين (٩٦٩ - ١٣٣٦)

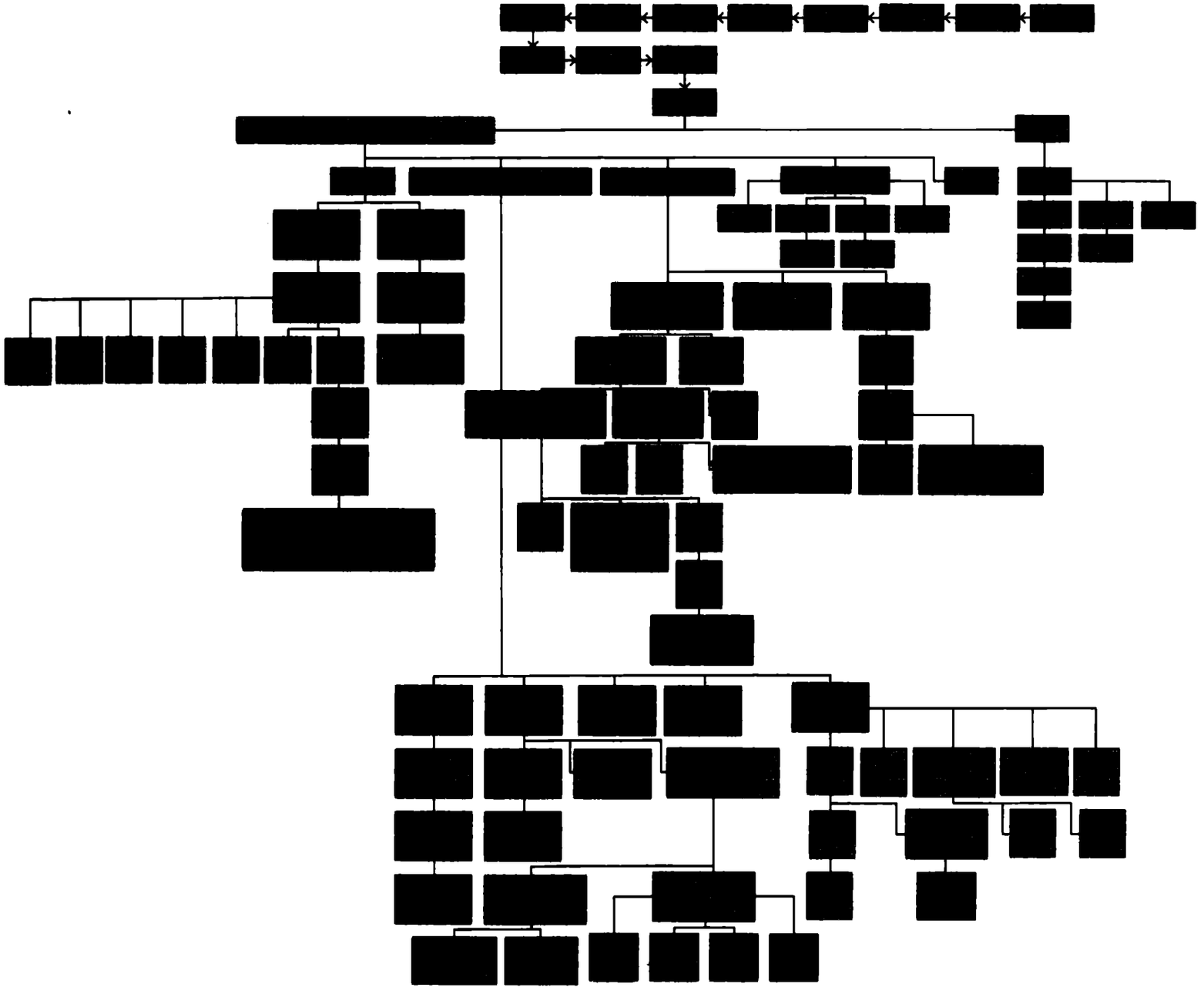

ابن ميثم البحراني، العالم الشيعي البارز في القرن السابع

ابن ميثم البحراني، العالم الشيعي البارز في القرن السابع:

حدث تدريجيا تطور مهم في الساحة الثقافية- المذهبية في القرن الخامس والسادس في ظل الدولة العيونية: فمنذ أواخر القرن السادس، نجد علماء بحارنة متفقهين في المراكز العلمية الشيعية بالعراق. وبعضهم بلغ أعلى المراتب العلمية الشيعية، وبات في عداد أشهر شخصيات العالم الإسلامي. ومن هؤلاء العلماء كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩) الذي كان من أجل علماء الشيعة في القرن السابع، ولديه مؤلفات قيمة في شرح نهج البلاغة، والمباحث الكلامية الشيعية.

لا ريب في أن ابن ميثم البحراني يعدّ أكثر العلماء البحارنة شهرة طيلة القرون الإسلامية الأولى. وهو ينتمي إلى الجيل النشط والفاعل من علماء البحرين في العراق وَمُدنه الشيعية، إذْ كانوا في تفاعل وتعامل مع الحوزات العلمية في تلك المناطق. وبعبارة أخرى، فإنه ساعد على اتصال تشيع العراق بالبحرين، لاسيما في القرن السابع. وَيدلُ بقاء مزاره في البحرين على كامل سيطرة التشيع في هذه الناحية على مر القرون. وتراثه الفكري في البحرين والعراق، يسير في خطى المدرسة الفقهية، والكلامية، والعرفانية التي ظهرت في الحلة والنجف، وأثمرت على يده وانتقلت إلى طلابه.

علماء البحرين قبل العصر الصفوي

إنَّ البحرين هي إحدى مراكز الشيعة الرئيسة، ومن جملة المناطق الفعالة والمؤثرة في تشيع باقي المناطق علميا ومن حيث تقديم الوجوه والشخصيات المتعلمة والمثقفة. وفضلا عن أصحاب أمير المؤمنين وحضور التشيع بين العبديين، فإننا نقف على تاريخ التشيع في البحرين من خلال علمائها الشيعة الذين ذُكِرَتْ أسماءهم في مختلف المصادر. وقد أوردنا في الجدول التالي قائمة بأسماء عدد من علماء البحرين الشيعة ما قبل العصر الصفوي، أي قبل القرن العاشر.

يقول ياقوت الحموي في القرن السابع عن البحارنة: وأهل البحرين بالقرب منهم

(أهل عمان من الخوارج) بضدهم كلهم روافض سبائيون لا يكتمونه ولا يتحاشون وليس عندهم من يخالف هذا المذهب إلا أن يكون غريبا (معجم البلدان، ١٥٠/٤).

مزارات البحرين

أحد أشهر مزارات البحرين هو قبر صعصعة بن صوحان - صحابي الإمام علي - الذي نفاه المغيرة بن شعبة إلى أوال بعد أيام الإمام. ومزاره اليوم يقع في قرية العسكر.

وفي منطقة أم القصم ضريح ابن ميثم البحراني، يجاوره جامع كبير. وقرب سوق الخميس قبر الشيخ حسين بن عبد الصمد، والد الشيخ البهائي. والشيخ حسين كان يتولى منصب شيخ الإسلام في هرات، وقزوين، وقد قصد البحرين في آخر حياته. ومزاره المغطى بحجر دليل آخر على احتضان البحرين لعلماء من جيل كبار علماء الشيعة. وفي قرية الشاخورة مزار الشيخ حسين العصفور. ومن الشاخورة برز الكثير من العلماء في القرون القريبة. وفي قرية التوبلي مزار السيد هاشم التوبلاني البحراني، صاحب تفسير البرهان. وهذه القبور كلها معروفة تزار.

التشيع حلقة وصل البحرين بإيران الصفوية

كانت البحرين منطقة شيعية بكل معنى الكلمة، بل من أهم مراكز التشيع قبل قرون من ظهور الصفويين في إيران. فمختلف قرى جزيرة البحرين ومناطقها، وسواحل الخليج الغربية التي عرفت قديما بعنوان البحرين بما فيها الأحساء، والقطيف، والخط وغيرها، كانت كلها من المراكز الشيعية الرئيسة.

وفي تلك المرحلة، توجه الكثير من علماء البحرين إلى إيران، وهذه الصلة كانت تتمحور أساسا حول فاعلية تشيع البحرين على إيران الصفوية. ويمكن أن نضع ألقاب العديد من علماء الشيعة في هذه المرحلة أساسا لدراسة تهدف إلى إظهار تواجد الشيعة الكثيف في هذه المناطق. إذن يجب ألا نكتفي بعنوان «البحراني»، بل لابد من أن نهتم ونأخذ بعين الاعتبار عناوين مثل: الأوالي، والخطي، والستري أو الستراوي، والماحوزي، والشاخوري، والدرازي، والبلادي، والتوبلي، والمقابي، والسماهيجي، والدورنجي، والهجري. هذا وعلينا أن نلحق بهذه الألقاب عناوين كالقطيفي، والأحسائي، وغيرها التي تتعلق بالمناطق الشيعية في الضفاف الجنوبي للخليج، وتقع اليوم في السعودية:ذلك أن البحرين، وفقا لما قاله ياقوت، اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان .

إحدى هذه المناطق هي قرية الغريفة الواقعة بالقرب من قرية أم الحصم، مدفن ابن ميثم البحراني (ت٦٧٩)، في ضواحي المنامة. وينتسب إلى القرية بيوتات جليلة من علماء الشيعة على مر القرون، ومن أبرزهم العالم الفقيه السيد حسين بن حسن بن أحمد بن سليمان البحراني الغريفي (ت ١٠٠١). وقد استقر بعض أعقابه في البصرة، والبعض الآخر توجه إلى إيران. وقد عرف آقا بزرك الطهراني أحد العلماء المنتسبين إلى هذه الأسرة في البصرة في زمن الشيخ مهدي البحراني (ت ١٣٢٣).

وينتمي إليها كبير علماء جنوب إيران عبد الله البلادي البوشهري (طبقات أعلام الشيعة، القرن ١١، ص ١٧٧). ولقب البلادي يحمله البحارنة أساسا، وكان المنتسبون إلى قرية البلاد القديم يلقبون به (انظر: طبقات أعلام الشيعة، القرن ١٢، ص ١٦٢، الهامش).

بعد ظهور الصفويين في العقد الأول من القرن العاشر واستيلاءهم على سواحل الخليج وتزامنا مع إعلان التشيع الإمامي من الدولة الجديدة في إيران، باتت الغلبة في البحرين للشيعة كاملة، وتولى علماءها الشيعة مناصب القضاء، والحسبة، والجمعة. ومنهم أسرة زيد الدين علي بن سليمان البحراني التي كانت لها المرجعية العلمية في البحرين بفضل الأب وولده جعفر، وحاتم، وصلاح (طبقات أعلام الشيعة، القرن ١١، ص ١٢٩-١١٧).

منتخب من علماء البحرين قبل العصر الصفوي

نصير البحراني راوي من جابر بن عبد الله الانصاري (القرن الأول).	أمالي الطوسي: ٥٨
نصر بن نصير البحراني راوي من أبيه (القرن الأول)	أمالي الطوسي: ٥٨، البحار: ١٠٠/٣٨
أبو لبيد البحراني راوي من الإمام الباقر	البحار: ١٧٠/٢، ٤٦٥/٦٣
محمد بن سهل البحراني (القرن الثالث)	نقل الشيخ الطوسي بالخصال ١/٢٧٢ والشعائر عنه أكثر من رواية تصل بالواسطة الى الإمام الصادق(ع) كما نقل عنه تفسير العياشي(البحار٣١١/١٢)
ابن الشريف أكمل البحراني (القرن الخامس)	راو عن البصروي عن السيد المرتضى(م ٤٣٦، (أعيان الشيعة:٢/ ٦٦)).
نصير الدين راشد بن إبراهيم بن إسحاق البحراني (م ٦٠٥)	مصنف كتاب تعريف أحوال سادة الأنام وهو في شرح أحوال الأئمة، وهو ايضا تلميذ السيد فضل الله الراوندى(٥٦٣)
الشيخ قوام الدين محمد بن محمد البحراني (القرن السادس)	راو عن السيد فضل الله الراوندي(م٥٦٣)(البحار: ١٠٦/ ٣١).
علي بن مقرب العيوني (القرن السابع)	شاعر وصاحب ديوان وصاحب كتاب تاريخ الدولة العيونية.
محمد بن عبد الله البحراني الشيباني(القرن السابع)	مستدرك الوسائل ٥/ ٣٩٣.
كمال الدين أحمد بن علي بن سعيد بن سعاده البحراني (م ٦٧٢)	ذكر عنه منتجب الدين انه عالم ومتدين وكان في العراق(أمل الآمل : ٢/ ١١٧).وهو مصنف رسالة العلم التي شرحها الخواجة نصير الدين(الذريعة: ١٥/ ٣١٥)، كما انه أستاذ علي بن سليمان البحراني.
جمال الدين علي بن سليمان البحراني	تلميذ كمال الدين أحمد بن علي ، واستاذ ابن ميثم البحراني(٦٦٩).ومصنف مفتاح الخير في شرح رسالة الطير(الذريعة : ٢٤/ ٤٢٥) تعليقة أمل الآمل للأفندى: ٢٠٣.
كمال الدين ميثم البحراني (م ٦٩٩)	تلميذ جمال الدين علي بن سليمان البحراني وهو علامة ومصنف آثار عديدة من جملتها شرح نهج البلاغة، القواعد في علم الكلام ...ألخ
عبد الله بن سعيد بن المتوج	عالم وفاضل وشاعر وصاحب ديوان في المدائح والمراثي(الذريعة : ٤/ ٢٤٦، ٩/ ٢٨).
فخر الدين أحمد بن عبد الله بن سعيد المعروف بابن المتوج البحراني (م٨٢٠)	تلميذ فخر المحققين (٧٧١) مصنف منهاج الهداية في شرح الأحكام الخمسمائة، أستاذ بن فهد الحلي وهو صاحب الشهيد الأول ومصنف كتاب(أحمد الوسيلة الى المسائل المضيلة من القواعد)
أحمد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمد بن سبيع البحراني المعروف بالسبيعى	تلميذ أحمد بن عبد الله ومصنف كتاب سديد الأفهام ، ألفه سنة ٨٣٦(الذريعة ٢٥/ ٧٥).

يتمثل جل تفاعل البحرين مع المدن الإيرانية في الجوانب العلمية. منه تردد علماء الشيعة بين البحرين وإيران؛ والثاني انتقال المكتوب من ثقافة الشيعة إلى إيران. فلما كانت البحرين من مراكز الشيعة العلمية وتاريخ تشيعها ضارب في القدم، فمن شأنها أن تحفل بجزء مهم من ثقافة التشيع وتراثه المكتوب. وبعبارة أخرى فإن إحدى النتائج المترتبة على هذه التاريخ القديم، هي وجود العديد من كتب الشيعة في البحرين ونواحيها. ونظرا لتصاعد شدة الحركة العلمية في إيران والحاجة إلى جمع الأصيل من كتب الشيعة، توجه عدد من المتخصصين إلى البحرين بحثا عن القديم من تلك الكتب.

خريطة رقم (١٨٦): البحرين وقراها الشيعية ومزاراتها

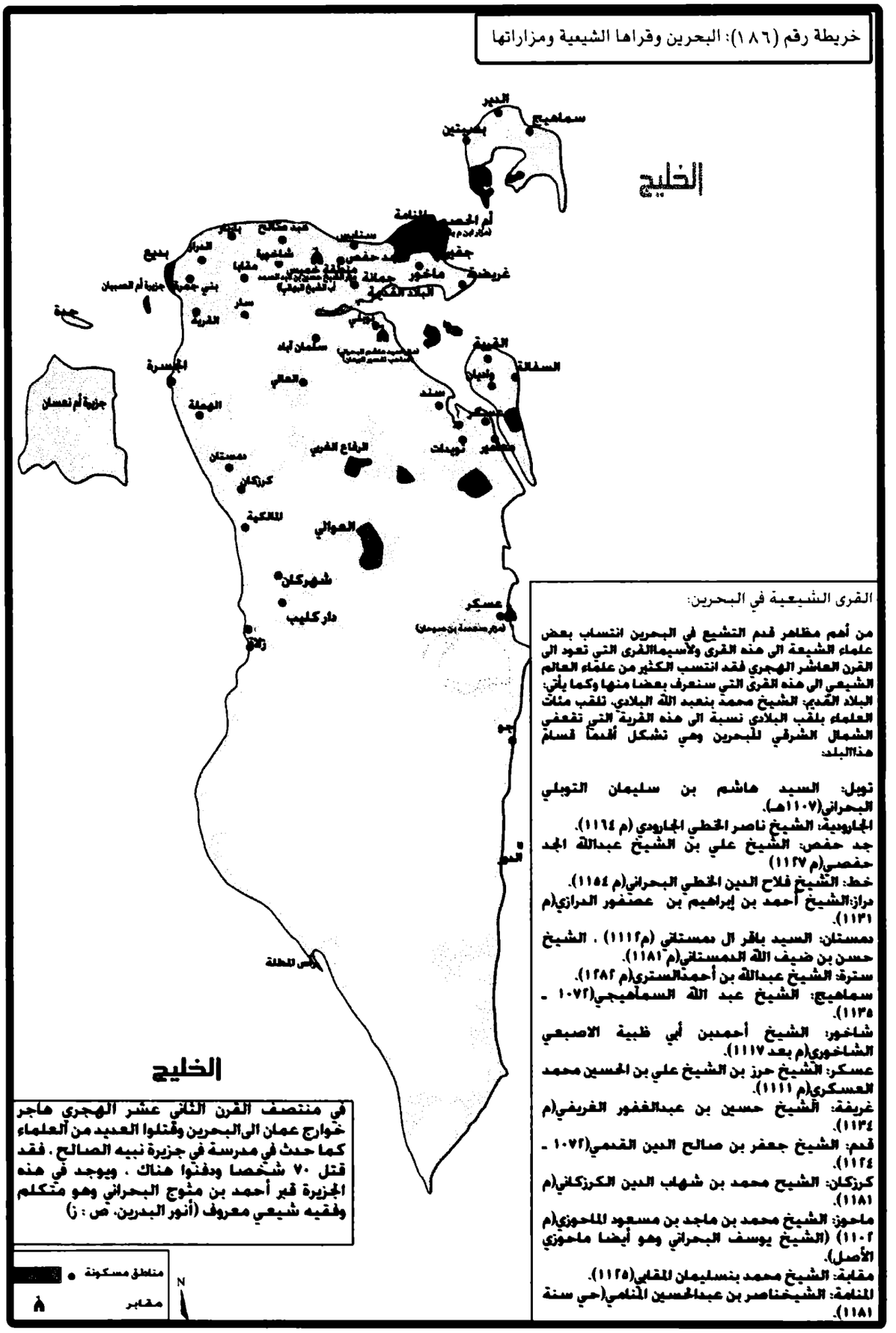

القرى الشيعية في البحرين:

من أهم مظاهر قدم التشيع في البحرين انتساب بعض علماء الشيعة الى هذه القرى ولاسيماالقرى التي تعود الى القرن العاشر الهجري فقد انتسب الكثير من علماء العالم الشيعي الى هذه القرى التي سنعرف بعضا منها وكما يأتي:
البلاد القديم: الشيخ محمد بنعبد الله البلادي. تلقب مئات العلماء بلقب البلادي نسبة الى هذه القرية التي تقعفي الشمال الشرقي للبحرين وهي تشكل أقدما قسام هذاالبلد.

توبلي: السيد هاشم بن سليمان التوبلي البحراني(١١٠٧هـ).
الجارودية: الشيخ ناصر الخطي الجارودي (م ١١٦٤).
جد حفص: الشيخ علي بن الشيخ عبدالله الجد حفصي(م ١١٢٧)
خط: الشيخ فلاح الدين الخطي البحراني(م ١١٥٤).
دراز:الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عصفور الدرازي(م ١١٣١).
دمستان: السيد باقر ال دمستاني (م١١١٢) . الشيخ حسن بن ضيف الله الدمستاني(م ١١٨١).
سترة: الشيخ عبدالله بن أحمدالستري(م ١٢٨٢).
سماهيج: الشيخ عبد الله السماهيجي(١٠٧٢ - ١١٣٥).
شاخور: الشيخ أحمدبن أبي ظبية الاصبعي الشاخوري(م بعد ١١١٧).
عسكر: الشيخ حرز بن الشيخ علي بن الحسين محمد العسكري(م ١١١١).
غريفة: الشيخ حسين بن عبدالغفور الغريفي(م ١١٣٤).
قدم: الشيخ جعفر بن صالح الدين القدمي(١٠٧٢ - ١١٢٤).
كرزكان: الشيخ محمد بن شهاب الدين الكرزكاني(م ١١٨١).
ماحوز: الشيخ محمد بن ماجد بن مسعود الماحوزي(م ١١٠٢) (الشيخ يوسف البحراني وهو أيضا ماحوزي الأصل).
مقابة: الشيخ محمد بنسليمان المقابي(١١٢٥).
المنامة: الشيخناصر بن عبدالحسين المنامي(حي سنة ١١٨١).

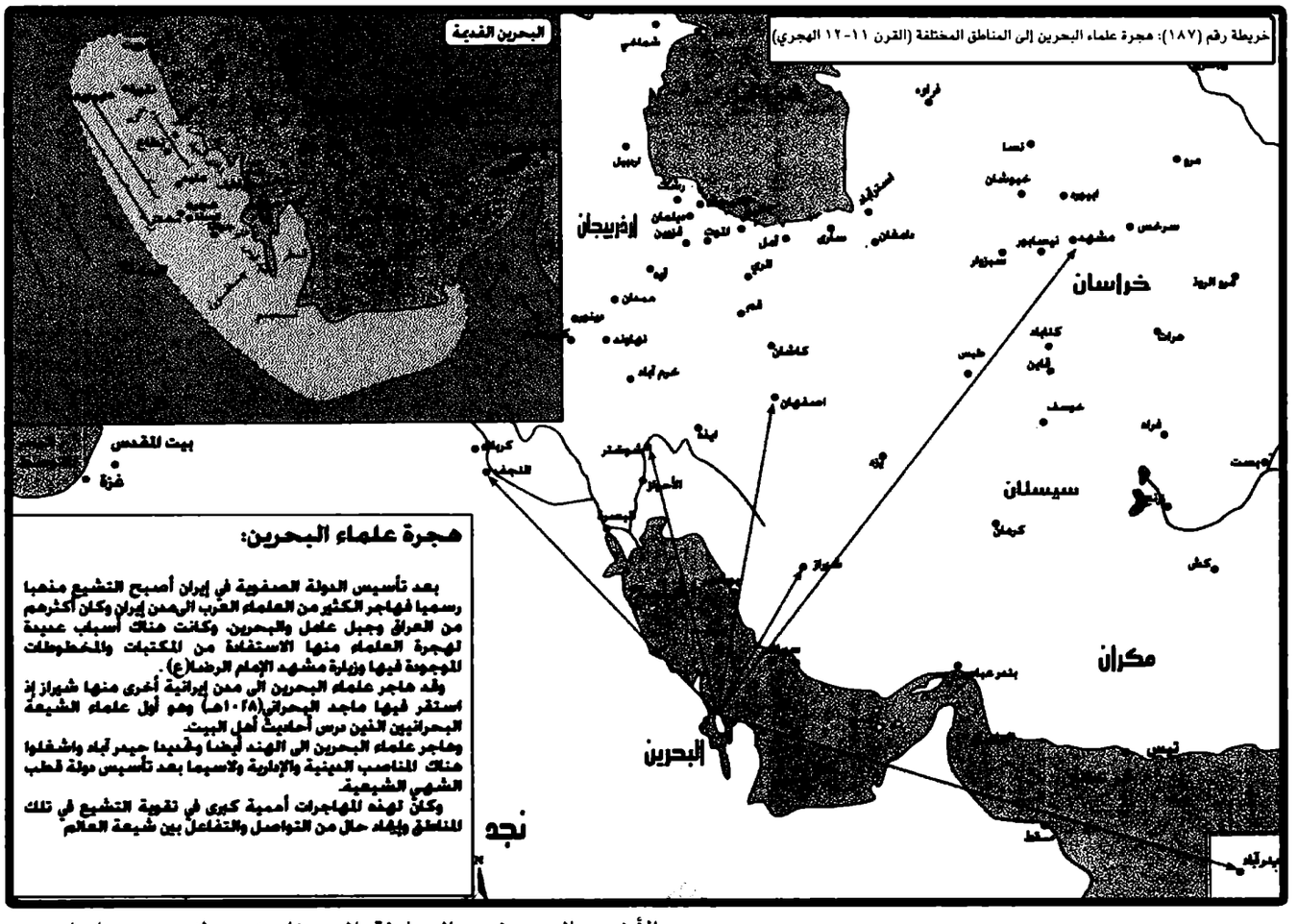

دوافع قدوم البحارنة إلى إيران

هناك عدة أسباب وراء هجرة البحارنة إلى إيران في العصر الصفوي، منها:

١- التوق إلى زيارة مرقد الإمام علي بن موسى الرضا، وأنموذجه هو محمد حسين القطيفي (تتميم أمل الآمل، ١١٧-١١٦).

٢- ارتقاء مكانة أصفهان علميا وسمعة، وحاجتهم إلى الدراسة فيها والحصول على الإجازات العلمية والروائية من كبار علماء الشيعة.

٣- تأمين حياة العلماء في أصفهان بفعل توسيع الأوقاف. فلا غرو بأن يستنظروا مد الأيادي البيضاء من قبل سلاطين إيران وعلمائها، لاسيما في الشدائد والمحن؛ خاصة ،ذلك وأنهم كانوا يعدّون رعايا الدولة الصفوية سياسيا. وأحد كبار علماء هذه المرحلة هو عبد الرؤوف الجد حفصي (١٠٦٦-١١١٣هـ)، وله قصيدة في ديوانه يهنأ فيها تبوأ الشاه سلطان حسين العرش الصفوي (طبقات أعلام الشيعة، القرن ١٢، ص ٤٣٢). وبأمر من الشاه سليمان الصفوي، ألف علي بن محمد بن عبد الله البحريني كتابا بعنوان منار السعادات في أصول الاعتقادات، ثم أمر الشاه بتعريبه (طبقات أعلام الشيعة، القرن ١٢، ص ٥٠٥).

خوارج عمان وهجرة البحارنة إلى إيران

إن الأزمات السياسية في البحرين، لاسيما انعدام الأمن إثر غارات خوارج عمان من جهة، والحضور المتواضع للدولة الصفوية في هذه الناحية،من جهة أخرى كانت من الأسباب الأخرى التي دفعت البحارنة إلى مغادرة موطنهم نحو إيران. وقد قدم الميرزا محمد خليل المرعشي الصفوي في كتابه مجمع التواريخ (٤٠-٣٧) شرحا مما عاناه البحارنة من مصائب ومحن بسبب خوارج عمان. وكذلك عباس إقبال في كتابه بعنوان مطالعاتى درباره بحرين و جزاير و سواحل الخليج (١٠٠-٩٧) (دراسات حول البحرين وجزائر الخليج وسواحله).

وإثر ممارسة هذه الضغوط من خوارج عمان، قام البحارنة بالهجرة إلى إيران، أو إلى القطيف والأحساء. فوالد الشيخ يوسف البحراني، أحمد الدرازي، كان من جملة الذين توجهوا إلى القطيف بعد حملة الخوارج على البحرين في ٢٢ صفر ١١٣١ هـ (طبقات أعلام الشيعة، القرن ١٢، ص ٣٦). والآخر زين الدين المقابي بن محمد بن سليمان البحراني الذي غادر موطنه بعد استيلاء الخوارج عليه (لؤلؤة البحرين، ص ٩٠).

استمرت ضغوط الخوارج في العقود الأولى من القرن الثاني عشر، وأدت إلى دمار كبير، وهروب العديد من العلماء والناس من البحرين. منهم: ياسين بن صلاح الدين بن علي البحريني الذي تناول هذه المعاناة في كتابه الروضة العلية في شرح الألفية؛ تلك المعاناة التي شبهها صاحب أنوار البدرين بفجائع كربلاء (طبقات أعلام الشيعة، القرن ١٢، ص ٨١٧).

تتمثل إحدى آثار قدوم البحارنة إلى إيران في انتقال الكتب الشيعية من البحرين إلى إيران. فقد قَدّم العديد من الطلاب البحارنة إلى المراكز العلمية في إيران لدارسة العلوم الدينية، وهذا يعود غالبه إلى النصف الثاني من العصر الصفوي، عندما ذاع صيت أصفهان كمركز علمي مهم. وحتى قبل هذه المرحلة، كان العديد من البحارنة يأتون إلى أصفهان لحضور مجالس درس علماء الشيعة العرب والاستفادة

العلمية. فقد أشير إلى شمس الدين محمد بن إبراهيم البحراني الذي كان من جملة طلاب السيد حسين المجتهد الكركي (ت ١٠٠١) (طبقات أعلام الشيعة، القرن ١١، ص ٥٠١). وقد ازداد عدد هؤلاء الطلاب والعلماء فيما بعد.

ففي مجلس درس العلامة المجلسي كان يحضر عدد من البحارنة، منهم حسن بن ندى البحراني (ت ١٠٩٧) الذي حصل على إجازة من المجلسي لقراءة جزء من أصول الكافي، والإجازة مازالت موجودة (طبقات أعلام الشيعة، القرن ١١، ص ١٣٨). كذلك عالم آخر يدعى أحمد المقابي الذي ينتمي إلى أحدى البيوتات العلمية البارزة. وقد حصل على إجازة علمية من العلامة المجلسي (طبقات أعلام الشيعة، القرن ١٢، ص ٤٨-٤٧).

تمكن البحارنة من ارتقاء الدرجات العالية والرتب العلمية الرفيعة في أصفهان، وألفوا الكتب والآثار. فهذا الشيخ عبد الله بن نور الدين البحراني، ألف مجموعة علمية عظيمة تماثل بحار الأنوار بعدما كان طالبا عند صاحبه العلامة المجلسي. وتعرف مجموعته بـ عوالم العلوم، دونها على غرار بحار الأنوار، وصاغها في قالب جديد، لكنه حذف المعارف العقلية منها. وقد طبعت أجزاء من هذا الكتاب في السنوات الأخيرة.

وبينما كان أجداد العديد من المهاجرين البحارنة، من علماء البحرين الذين بقوا حتى مماتهم في موطنهم، إلا أن أبناءهم قدموا إلى أصفهان واستقروا هناك. ومنهم إبنا هاشم بن سليمان التوبلي، عيسي ومحسن اللذان أقاما في أصفهان، وقد رأى الأفندي آثار أبيهما في بيتهما (طبقات أعلام الشيعة، القرن ١٢، ص ١٥٠).

البحارنة في ولاية فارس

البحارنة في ولاية فارس:

فضلا عن أصفهان، كانت مدن فارس من المناطق التي قصدها البحارنة واستقروا فيها. وقد لعب تواجد السيد ماجد بن هاشم البحراني (٨٧٦-١٠٢٨) في فارس، ولاسيما في شيراز، دورا كبيرا في انتقال المدرسة البحرانية إلى فارس التي كانت تحكمها يومئذ المدرسة الفلسفية الدوانية- الدشتكية. والسيد ماجد البحراني كان من أصدقاء الشيخ البهائي، ومن المؤثرين على شخصية الفيض الكاشاني، إذ حول مسار فكره.

يقول الشيخ يوسف البحراني في لؤلؤة البحرين: إنه أول من نشر المشرب الإخباري في شيراز. ويشير آقا بزرك الطهراني إلى عدد من طلابه عند نقل هذه العبارة. ومنهم: حسين البحراني الذي سكن في شيراز وعمر طويلا. وقد استفاد منه أيضا السيد نعمة الله الجزائري (ت ١١١٢) (طبقات أعلام الشيعة، القرن ١١، ص ١٦١).

ومن عدة طلاب السيد ماجد في شيراز، أحمد بن جعفر البحراني الذي كان يسكن في المدينة نفسها (طبقات أعلام الشيعة، القرن ١١، ص ١٦) وقد قيد تاريخ وفاة أستاذه في مخطوطة (طبقات أعلام الشيعة، القرن ١١، ص ٤٣٨). وعلماء البحرين المستقرون في موطنهم لم يكونوا بمعزل عن نظرائهم البحارنة في إيران، إذ كانوا على تواصل فكري وأدبي معهم. فالمصادر تشير مثلا إلى أبي البحر جعفر بن محمد بن حسن الخطي الذي كان يربطه تواصل أدبي واسع مع السيد ماجد البحراني (طبقات أعلام الشيعة، القرن ١١، ص ١١٣).

وفي بهبهان أيضا تواجد البحارنة واستقروا فيها، بوصفها إحدى المناطق المحببة لهم. ومنهم العالم الإخباري البحراني المعروف، الشيخ عبد الله السماهيجي، الذي ولد بسماهيج ثم انتقل مع أبيه الى قرية اصبع. وكان من جملة البحارنة المهاجرين إلى إيران بعد استيلاء الخوارج عليها. وقد استقر في مدينة بهبهان، وكان من مروجي الفكر الإخباري (طبقات أعلام الشيعة، القرن ١٢، ص ٤٦٢).

وفي شيراز قام الشيخ يوسف الدرازي البحراني (١١٠٧-١١٨٦) بتأليف موسوعته الفقهية الحدائق الناضرة. والشيخ يوسف هذا كان قد غادر البحرين بعد غارة الأعراب، وكانت له زوج من أهالي مدينة فسا، وابن منها باسم محمد، بات عالما جليلا واستقر في موطن والدته (طبقات أعلام الشيعة، القرن ١٢، ص ٨٢٨).

البحارنة أصحاب المناصب في أصفهان وشيراز

تولى بعض البحارنة مناصب حكومية في أصفهان وشيراز. منهم السيد ماجد ابن السيد محمد البحراني (ت ١٠٣٨) الذي كان قاضيا بشيراز، وكان شاعرا ينشد بالفارسية والعربية. وقد خلفه ابنه، ثم دعاه صدر ممالك أصفهان إلى مدينته وبات هناك نائب الصدر (طبقات أعلام الشيعة، القرن ١١، ص ٤٨٣-٤٨٢).

كذلك محمد بن عبد الحسين الحسيني البحراني، قضى مدة في الهند، وكان هناك ذا شأن. ثم أتى إلى أصفهان وصار فيها شيخ الإسلام (سلافة العصر، ٣٤١). والشيخ صالح بن عبد الكريم بن حسن بن صالح البحراني الكرزكاني (ت ١٠٩٨) الذي ولاه الشاه سليمان منصب القضاء في شيراز (طبقات أعلام الشيعة، القرن ١١، ص ٢٨٦).

استمر تواجد البحارنة أو إستقرار أعقابهم في شيراز بفارس. وتشير المصادر إلى أبي الحسين البحريني ابن محمد، المتوطن في شيراز، وبها ألّفَ تفسيراً كبيرا باسم ملك إيران كريم خان الزند (ت ١١٩٣). وتوفي في السنة نفسها ودفن في مزار شاه جراغ بشيراز (طبقات أعلام الشيعة، القرن ١٢، ص ١٦١).

والشيخ محمد حسين البحريني الاصطهباناتي (ت ١١٩٢) هو عالم آخر من البحارنة المهاجرين إلى إيران، وكان يسكن في مدينة اصطهبانات بفارس، وله بعض الآثار الفقهية (طبقات أعلام الشيعة، القرن ١٢، ص ١٨٧).

وقد تواجد بعض البحارنة في رامهرمز والأهواز أيضا، مثل: الشيخ حسين بن زعل البحراني الذي طاف في إيران مدة وسكن أخيرا في الأهواز ببلدة رامهرمز، ثم انتقل إلى بهبهان الدورق، وخلف آباد، وغير محاريبها وأصر على ذلك. ثم سافر إلى الحج وتوفي راجعا، وقد انكشف له خطأ إجتهاده وتصويب القبلة القديمة في البلاد المذكورة واعترف بذلك وأشهد به أصحابه عند الوصية (طبقات أعلام الشيعة، القرن ١٢، ص ١٨٥).

والعلماء من ذرية البحارنة المهاجرين كانوا لا يزالون من أصحاب النفوذ. منهم أحد قادة الثورة الدستورية، السيد عبد الله البهبهاني الذي قيل بأنه من أعقاب السيد عبد الله بن علي بن أحمد البلادي (ت ١١٦٠) (طبقات أعلام الشيعة، القرن ١٢، ص ٤٥٥).

هجرة البحارنة إلى حيدر آباد في الهند

لم تنحصر هجرة البحارنة إلى إيران فقط، بل إن عدداً منهم كان يتردد إلى الهند، ولاسيما مدينة حيدر آباد. فأحمد بن سليمان بن علي البحراني، وهو من وجهاء علماء الشيعة، كان يتواجد في الهند في النصف الأول من القرن الثاني عشر، وألف هناك آثارا (طبقات أعلام الشيعة، القرن ١٢، ص ٢٦).

ينقل الشيخ يوسف البحراني عن أبيه إن الشيخ جعفر البحراني والشيخ صالح بن عبد الكريم الكرزكاني البحراني خرجا من البحرين لضيق المعيشة إلى بلاد شيراز وبقيا فيها برهة من الزمن، ثم اتفقا على أن يمضي أحدهما إلى الهند، ويقيم الآخر في بلاد العجم، فأيهما أثرى أولا أعان الآخر. فسار الشيخ جعفر إلى الهند واستوطنَ حيد آباد، وبقيَ الشيخ صالح في شيراز، وصار كلاهما علماً للعباد، ومرجعا في البلاد. وقد توفي الشيخ جعفر في حيدر آباد في سنة ١٠٨٨ هـ، وكان القائم مقامه الشيخ أحمد بن صالح الدرازي البحراني، إلى أن افتتح تلك البلاد الشاه اورنك زيب، فأمر بإخراج الأصناف منها كل بمقدمه.

وكان الشيخ أحمد مقدم من فيها من صنف العلماء، فأمر له بألف روبية، ورجع الشيخ أحمد إلى ولاية العجم، واستوَطَنَ في بلدة جهرم من توابع شيراز، وكان على غاية من الزهد والورع والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والشيخ صالح الكرزكاني الذي تولى القضاء بشيراز، كان قد امتنع عن لبس خلعة القضاء من السلطان، وبعد الالتماس والتخويف من سطوته وغضبه، لبسها كما يلبس العباءة على ظهره (لؤلؤة البحرين، ص ٦٩-٧١).

استمرار التشيع في البحرين

سَبَقَ وأن قلنا بأن سكان البحرين كُلهم كانوا على المذهب الإمامي حتى القرن الأخير، فبالنسبة لسكان المناطق المجاورة من غير الشيعة، فإن لفظة البحراني كانت تعني الشيعي. والبحرين القديمة والجديدة كانت منطقة حساسة، مُعَرّضة للضعف فاقدة لقوة سياسية جدية، لكنها في القرون غير البعيدة شهدت استيلاء حكام ذوي أصول سعودية وقطرية، قاموا باستيطان جموع من خصوم الشيعة في البحرين، وهم اليوم أقلية، إلا أن هذه الأقلية هي التي تحكم البحرين. وفضلا عنهم، استوطن في البحرين تدريجيا عدد من سكان شرق آسيا، والهند، وباكستان، وفلسطين، والأردن، وانضموا إلى سكان البحرين السنة. كذلك حلفاء آل خليفة الذين كانوا من البلوش غير الشيعة، وعدد من القبائل غير البحرانية التي كانت تُعدّ فدائييهم. في حين أن سكان البحرين الأصليين هم الشيعة الذين كانوا يعملون في الزراعة، والألقاب التي حملها الشيعة على مر القرون ممن نعرفهم، تنتسب كلها إلى قرى البحرين القديمة. وجل شيعة البحرين على المذهب الجعفري، ويقلدون مراجع النجف، وهم من أصحاب الفاعلية في مدارس الشيعة الفكرية بالنظر إلى خلفيتهم العلمية.

وسنة البحرين الذين أتوا إليها كل من مكان ما، يتوزعون بين أتباع المذهب المالكي، والحنبلي (النجديين)، والمذهب الشافعي. ولا تتجاوز سابقة أقدم علماء البحرين السنة أكثر من ١٥٠ سنة.

والمثير للدهشة ما أثير من مزاعم سخيفة في أثناء الصراعات الطائفية الأخيرة في العالم الإسلامي حول انتماء شيعة القطيف، والأحساء، والبحرين إلى جذور غير عربية، تلك المزاعم التي تحولت إلى موضوع المقالات والكتابات الدعائية لخصوم التشيع في البلدان العربية. هذا في حين أن حتى استعراض موجز لتاريخ هذه الديار، سيظهر جليا حضور التشيع بين قدامى عرب هذه المناطق من بدو وحضر. وفضلا عن هذا، فإن المنطقة كانت تحت سيطرة الفرس قبل الإسلام، وكان يسكنها مزيج من العرب والعجم. واللافت للنظر هو أنه عندما كان سكان جنوب إيران من السنة، والشيعة فيه أقلية، كان أهل البحرين القديمة على التشيع. وهم الذين لعبوا دورا كبيرا في مد ثقافة التشيع في إيران، ولاسيما في فارس إبان العصر الصفوي.

البحرين الحديثة

إن البحرين الحديثة، هي الجزيرة التي كانت تعرف سابقا باسم أوال. وَقدْ احتلها البرتغاليون مع ساحل الخليج الغربي في العقد الثالث من القرن الهجري العاشر. وفي سنة ٩٥٨ هـ استولى العثمانيون على الأحساء، وباتت القطيف تابعة لها. لكن حضور البرتغاليين في المنطقة استمر لحوالي قرن من الزمان، إلى أن باتت الغلبة للصفويين بعد قيام الشاه عباس بدحر البرتغاليين وإخراجهم من البحرين سنة ١٠٣١ هـ. وما عدا مراحل قصيرة، كانت البحرين تحت سلطة إيران، وعليها حكام وعمال من العرب المحليين في كثير من الأحيان.

وفي مطلع القرن الحادي عشر، سيطر على البحرين الشيخ جبري من آل جبر، وقد كان سابقا من حكام الأحساء، ولكن ما لبث أن استعاد الصفويون سيطرتهم عليها. ومع ضعف دولتهم، تمكن العرب الهولة من حكم البحرين، إلا أن نادر شاه تمكن من استعادتها. وفي أثناء عقود من الزمن شهدت البحرين العديد من غارات خوارج عمان الذين كانوا يستولون عليها بين الحين والآخر، ويقومون باضطهاد الشيعة. ثم استردها نادر شاه من الخوارج ثانية سنة ١١٥٢ هـ وسلم حكمها إلى آل مذكور الذين باتوا يستقلون شيئا فشيئا. وبعد مدة دارت بينهم وبين آل خليفة مواجهات انتهت بغلبة آل خليفة الذين باتوا يحكمون البحرين تحت اسم إيران وعلمها. وفي سنة ١٢٣٥ هـ، تحالف آل خليفة مع البريطانيين وباتت البحرين تدار بين سلطة إيران، والاستعمار البريطاني، وحكم آل خليفة.

مما سبق عن تاريخ شيعة البحرين، يتبين أن هذا البلد كان تحت تصرف الشيعة تماما؛ فليس هناك أي تقرير يشير إلى تواجد غير الشيعة في البحرين قبل ١٥٠ سنة. ومنذ قيام حكومة آل خليفة السنية بدعم البريطانيين، أقصي شيعة البحرين من الساحة السياسية، وتمحورت جل جهود الحكومة على الحد من قدرات الشيعة وتضييق الخناق عليهم. تشير أحد التقارير إلى حدوث أول تمرد لشيعة البحرين في سنة ١٨٩٥ هـ، انتهى إلى مغادرتهم البحرين والهجرة نحو منطقة الزبارة في قطر، ومنذ تلك الأيام وبعد دخول البريطانيين في مسرح الأحداث، ظهرت خلافات بين آل خليفة وآل ثاني لا تزال قائمة حتى اليوم. ومنذ تحكم بريطانيا في مجريات أمور مشيخات الخليج (منذ ١٩٢٣)، تحولت البحرين إلى إحدى أهم

قواعد البريطانيين ثم الأميركان في المنطقة. وشهدت البحرين ثورات وانتفاضات ضد آل خليفة في المرحلة الممتدة من ١٩١٩ حتى ١٩٢٣، انتهت إما إلى القمع وإما إلى المساومة. وطيلة القرن الماضي، ازدادت أعداد المهاجرين السنة العرب في هذه الديار، وأخذوا يلعبون دورا في التطورات السياسية. وبعضهم كان ينتمي إلى تيار إخوان المسلمين. هذا وقد قامت الحكومة البحرينية بمحاربة الشيعة تدريجيا منذ مطلع الخمسينات، وحاولت أن تحول دون إقامة مراسم عاشوراء. وبذلت جهود إعلامية لإلصاق تهمة الانتماء وموالاة إيران بشيعة البحرين، وبات يعمل على تأجيج نار النزاعات المذهبية والقومية. وفي بعض المراحل حاولت القيادات المناضلة شيعة وسنة، تنسيق المواقف لحل بعض القضايا والحيلولة دون أن يصطاد الأعداء في الماء العكر.

وفي ستينات وسبعينات القرن الماضي، دخل شيعة البحرين أجواء العالم الحديث تدريجيا. وأدى اتصال علماء الشيعة المنظم مع العراق بدافع الإصلاح الفكري بين الشيعة، وكذلك محاربة الشيوعية، إلى تعزيز قدراتهم الفكرية. وشهد المجتمع الشيعي تأسيس الجمعيات والمؤسسات التثقيفية الإسلامية، منها جمعية التوعية الإسلامية. وكان حزب الدعوة في البحرين من جملة المنظمات التي تأسست تحت وقع الحركة الإسلامية في العراق. وقد اعتقل وسجن العديد من أعضاء هذا الحزب في سنة ١٩٨٤.

استمر كفاح الشيعة ضد الدولة، واشتدت حدته إثر الثورة الإسلامية التي أدت إلى بذل جهود من قبل الشيعة لاستعادة سلطتهم الضائعة، وقامت الحكومة البحرينية بقمع وتعذيب المناضلين البحارنة بتهمة زائفة ألا وهي موالاة إيران. وفي كانون الأول ١٩٨١، إدّعتْ بأنها أحبطت محاولة انقلاب مدعوم من إيران، لتعمل بعده على تضييق الخناق على الشيعة أكثر من ذي قبل. هذا في حين أن نسبة الشيعة وحتى في أسوأ الظروف ومع توطين العديد من سنة الدول الأخرى في البحرين وتجنيسهم، تبلغ أكثر من ٧٠ بالمئة.

وفي سنة ١٩٨٧ وما بعدها، كانت الحكومة البحرينية تُشير إلى تواجد حزب الله في البحرين مراراً وتكراراً، وقد اعتلقت وحاكمت العشرات من الشباب بتهمة الانتماء إليه. وبعد كل تصعيد جديد ضد المناضلين الشيعة، يشهد المجتمع البحريني إغلاق مراكز الشيعة، أو سحب الجنسية وترحيل عدد من الشيعة الذين مرت عقود على تواجدهم في البحرين.

بعد الغزو العراقي للكويت سنة ١٩٩١، أقبل الشيعة على حراك جديد في السعودية، والكويت، والبحرين. ومع أن بعض الدول المجاورة منحت بعض الحريات، لكن الحكومة البحرينية ما زالت تتحاشى الاعتراف بحقوق الشيعة. وتجدر الإشارة إلى أن هناك تواصل ثقافي- مذهبي على غاية من القرب يربط بين شيعة الكويت، والسعودية، والبحرين. فهم متأثرون من الثورة الإسلامية، وحركة حزب الله اللبنانية بنوع أو بآخر.

هذا وقد قام الشيعة باحتجاجات واسعة بالبحرين في سنة ١٩٩٤أسفرت عن تصاعد الضغوط ضدهم، واعتقال عدد من القيادات الشيعية. ورجعت مشاهد العنف مرة أخرى في سنة ١٩٩٧، وواصلت المعارضة نضالها المتماسك ضد الحكومة بتأسيس عدد من الجمعيات. منها: حركة أحرار البحرين الإسلامية، والجبهة الإسلامية لتحرير البحرين، وكانت كلتاهما من جملة الجمعيات التي لعبت دورا أساسيا في المواجهات والاحتجاجات الاجتماعية إبان الثمانينات والتسعينات.

وفي أيار ٢٠٠٤، نظمت المعارضة تظاهرات ضد أحداث العراق، ومحاصرة النجف وكربلاء من قبل القوات الأميركية. إلا أنها انتهت إلى اشتباكات بين المتظاهرين الشيعة وقوات الأمن الحكومية، وجرح فيها أحد رجال الدين الشيعة. ومع كل هذا الكفاح والمحاولات، لم تحرك السلطة في البحرين ساكنا إزاء مطالب المعارضة المتمثلة في إصلاح الدستور وتعديله. وأحد القيادات الشيعية هو الناشط الحقوقي عبد الهادي الخواجة الذي يكافح النظام البحريني من زاوية الاهتمام بحقوق الإنسان، والمظاهرة التي نظمها مؤيدوه في أيلول وتشرين الأول ٢٠٠٤، انتهت إلى أعمال عنف واشتباكات مع قوات الأمن.

وطيلة كل هذه السنين وبالاعتماد على الولايات المتحدة والمملكة السعودية، تمكنت الحكومة البحرينية من مواجهة موجة الاحتجاجات الشعبية الواسعة، ولم تتراجع عن مواقفها قيد أنملة. فالأميركيون الذين يرون بأن صعود الشيعة إلى السلطة يمثل تهديدا لهم، لم يرغبوا أبدا في العمل على تحقيق الديموقراطية في البحرين.

وتنشط المعارضة في البحرين بمختلف الجماعات والتوجهات. فبعضها تؤيد المشاركة في العملية السياسية، وأخرى تعارضها بشدة. ويعدّ الشيخ عيسي أحمد قاسم، أحد أكبر القيادات الشيعية في البحرين، وعادة ما يتخذ مواقف توجيهية وإرشادية تجاه جميع الأطراف والجهات. وبفعل امتلاكها لأكبر عدد من الأعضاء، تعد جمعية الوفاق الوطني الإسلامية أكبر الجمعيات السياسية في البحرين، ويرأسها حاليا الشيخ علي سلمان الذي أمضى مدة في إيران، ومنفيا في لندن. وقد عاد إلى وطنه في شباط ٢٠٠١.

وجمعية العمل الإسلامي بقيادة الشيخ محمد علي المحفوظ هي من الجمعيات الأخرى النشطة في البحرين. وجل هذه الجمعيات تسعى فقط وراء الإصلاح الاجتماعي، وتعديل الدستور، وإقامة انتخابات سليمة، ورفع التمييز عن الشيعة. وشهدت البحرين في السنين الأخيرة توطين العديد من الأردنيين، والفلسطينيين بدعم من الحكومة لخلق نوع من التوازن بين مختلف الجماعات المذهبية.

شيعة الكويت

تقع الكويت في ركن الخليج الشمالي الغربي، وهي جزء من الجزيرة العربية كانت تعرف قديما باسم القرين والكاظمة، وقد أسست في سنة ١٩١٣. وفي الدولة العباسية كان إقليمياً عمان، والبحرين يعدّان إقليما واحدا، وكانت الأحساء، والقطيف، والكاظمة (الكويت الحالية) أهم مدنه. وسكان هذه المنطقة ، عرب ينحدرون من مختلف القبائل العربية، نزلوا فيها قبل عدة قرون، وكانوا يتنقلون من وإليها بفعل تغير الأوضاع والمناخ. والعديد من هذه القبائل كانت على التشيع منذ القدم، وأخرى كثيرة على التسنن.

وشيعة الكويت هم إما من سكانها العرب القدامى، وإما من المهاجرين الوافدين من البلدان المجاورة. والحكومة

الكويتية حكومة سنية. ومع أن أسلوبها في معاملة الشيعة أفضل من الحكومة السعودية، لكنها لم تكن تنصفهم قبل بضع سنوات. وبالفعل لا تزال التضييقات قائمة حتى اليوم. وبعدما نظر إلى الثورة الإسلامية في إيران بمثابة تهديد في إثر الحملة والدعاية الإعلامية القاسية التي نظمها البعثيون والقوميون العرب، تزعزعت ثقة الأنظمة العربية، ومنها الكويت، بإيران، ومواطنيها الشيعة أكثر من ذي قبل. مما أدى إلى تصاعد حدة تضييق الخناق على الشيعة بعد سنة ١٩٨٠، إذ باتوا يواجهون تقييدات، لاسيما لدخول الصناعة النفطية.

ومع ذلك، لابد من القول بأن شيعة الكويت، وفي تصنيف عام، يأتون بعد شيعة لبنان من حيث التمتع بالحرية والرفاهية، مقارنة بغيرهم من الشيعة في البلدان العربية الأخرى.

كان الشيعة يتعرضون للكثير من التدابير الأمنية للحكومة قبل اندلاع حرب الخليج الثانية وغزو الكويت، بما في ذلك من اعتقالات وترحيل. وخلال الحرب، وبعد أن أفلت العديد من السنة المتمكنين اقتصاديا، كان الشيعة هم الوحيدون الذين جابهوا الحملة الصدامية وقدموا التضحيات والشهداء لوطنهم. مما أدى إلى تغيير الأوضاع لصالح الشيعة بعد مرحلة الحرب، وأتى لهم بمزيد من الحريات. ومع ذلك، وما عدا حالات استثنائية، يحرم المواطنون الشيعة من تقليد المناصب العليا والحساسة، ويستثنون من العمل في الوظائف الحكومية.

واليوم يكون الشيعة ٣٠ بالمئة من إجمالي سكان الكويت لكنهم لا يمتلكون إلا ١٠ بالمئة من مقاعد مجلس الأمة.

ينقسم شيعة الكويت على مجموعتين: العرب والعجم. ويمكن الإشارة إلى عدد من المجموعات الشيعية المتمايزة عموما:

١-الحساوية: وهم عرب ينتمون إلى منطقة الأحساء.

٢- البحارنة: وعم عرب وفدوا من البحرين.

٣- العجم: وهم من أعقاب المهاجرين الإيرانيين الوافدين إلى الكويت، ويكونون النسبة الأكبر من الشيعة.

٤- البصاروة: أو الزبيرية، وهم فئة صغيرة من العرب الوافدين من جنوب العراق.

والأسر العربية التي وفدت بهدف التجارة نحو الغرب والكويت الحالية منذ مطلع القرن السابع عشر من منطقة الأحساء، والقطيف، هي: الشمالي، والمحميد، والكعبي، وآل البغلي، والبحارنة، وجمعة، والوزان، وبن شيبة، وجمال، والمعرفي، والمزيدي، وشيرين، وغيرها. وفي تلك المرحلة كانت نسبة الشيعة تبلغ أكثر من ٥٠ بالمئة من سكان الكويت، لكن أعدادهم بدأت تتراجع تدريجيا لتصل إلى ٤٠ بالمئة. وذلك إثر هجرة عدد منهم إلى جنوب العراق، ففي ذلك الوقت قلت الهجرة إلى الكويت بسبب الازدهار النسبي القائم في العراق مقارنة مع الكويت. وتدريجياً انخفض عدد الشيعة، وتراجعت نسبتهم إلى ٣٥ بالمئة. وبعد اكتشاف النفط، أخذت الأوضاع تتحسن في الكويت، وتوجه إليها العديد من المهاجرين من المناطق المجاورة مثل العراق، وإيران. ومع هذا، كانت مكانة الكويت التجارية وحتى قبل اكتشاف النفط، ذات جاذبية جيدة لاستقطاب المهاجرين والتجار.

وكغيرهم من الشيعة، يتبع معظم شيعة الكويت مراجع التقليد فقهيا، ويتوزعون بين عدة تيارات وتوجهات، أهمها التيار العام للشيعة الإمامية، والشيخية الذين يطلق عليهم «جماعة الميرزا»، ويعدّ مسجد الإمام الصادق مركز تجمعهم. والإخبارية وأكثرهم البحارنة، وأهم العائلات المنتمية إلى هذه المجموعة هي: القلاف، والخياط، ومكي جمعة، وحجي حامد. ثم الخوئية، وهم يمثلون شيعة الكويت من أصول إيرانية، مثل آل الموسوي، وآل الدشتي، وآل اشكناني، وآل البهمني، وآل البهبهاني، وآل قبازرد. والثلاثة الأخيرة من أوائل الأسر الشيعية التي هاجرت إلى الكويت في أواخر القرن التاسع عشر.

والطلاب ورجال الدين الكويتيون كانوا ولا يزالون يأتون إلى إيران للدراسة في الحوزات العلمية. وهناك وكيل شرعي بالكويت لمرشد الثورة الإسلامية السيد علي الخامنئي بعنوانه ولي الفقيه، ومرجع تقليد.

ووفقا لآخر الإحصائيات السكانية التي نشرتها وزراة التخطيط الكويتية سنة ٢٠٠٥، فإن عدد سكان الكويت يبلغ ٢٢١٣٤٠٣ نسمة. وطبقا لإحصائيات مركز الدعوة إلى الإسلام، فإن عدد غير المسلمين يبلغ قرابة ٥٠٠ ألف، والمسلمين حوالي مليون و٧٠٠ ألف نسمة.

ومعظم المسلمين من أتباع المذهب المالكي، ويكونون زهاء ٧٠ بالمئة من إجمالي عدد المسلمين في الكويت. أما الشيعة فيكونون ٣٠ بالمئة وهم حوالي ٦٠٠ ألف، منهم ٧٠ ألف من أصول إيرانية.

النشاط السياسي- الاجتماعي لشيعة الكويت

بدأ علماءُ الكويت الشيعة، المترعرعون في النجف، نشاطا أكثر عمومية منذ أواخر القرن السابع عشر الميلادي. فمسجد الصحاف كان أول المساجد التي أعيد النشاط إليه من قبل القاضي الشيخ موسى المزيدي. وهو الذي كان يتولى منصب القضاء الجعفري في المنطقة، وواصل مسيرته نجله الشيخ محمد المزيدي.

والسيد مهدي القزويني كان شخصية بارزة أخرى من علماء الشيعة، وقام بدور اجتماعي وسياسي مهم في الكويت. وكذلك ابنه السيد جواد القزويني الذي دخل المعترك السياسي.

وقد استقر بالكويت في منتصف القرن العشرين، عدد من العلماء الإيرانيين والعراقيين، مع الحفاظ على هويتهم الأصلية، ومنهم السيد زين العابدين الكاشاني من إيران، والسيد علي شبر من العراق، وهو الذي كان يَؤمُ الجماعة في المسجد المزيدي بعد سنة ١٩٥٦. واستقرارهما في الكويت كان بتوصية من آية الله البروجردي. وإبان مرجعيته، قام آية الله السيد محسن الحكيم بتعيين السيد عباس المهري وكيلا له في الكويت.

وفي السبعينات شهدت الكويت وفود عدد أكبر من العلماء ورجال الدين من النجف وإيران. منهم: الشيخ علي الكوراني في سنة ١٩٦٧ من قبل آية الله الحكيم، وبات يؤم الجماعة في مسجد النقي بالدسمة. وَقَدْ اُفْتَتَحَ المسجد في السنة نفسها، وحضر حفل الافتتاح وفد رفيع المستوى أرسله آية الله الحكيم، ويتألف من السيد محمد باقر الحكيم، والسيد هادي الحكيم، والسيد محمد بحر العلوم.

خارطة رقم (١٨٨): شيمة الكويت

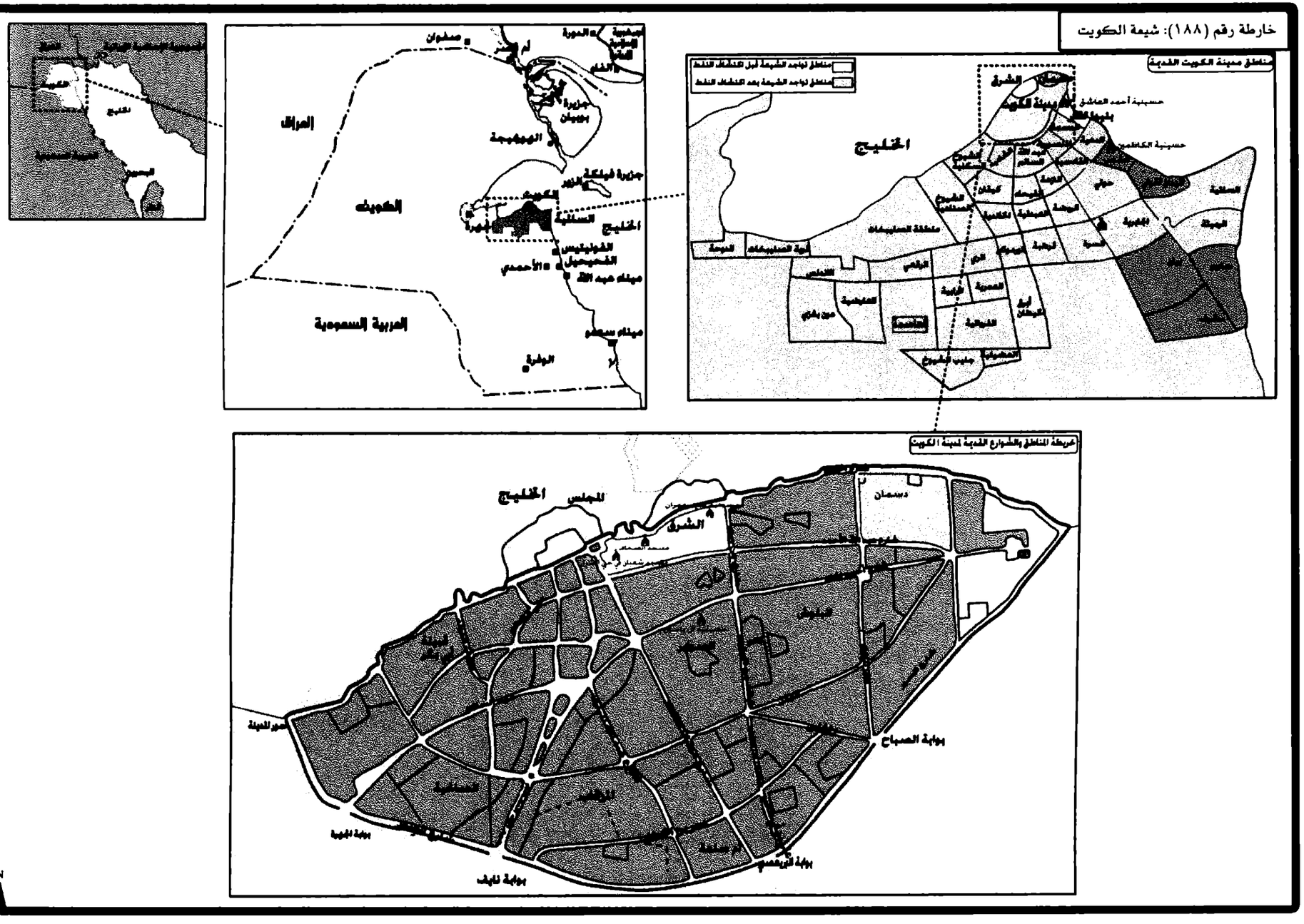

وكان قدوم الشيخ محمد مهدي الآصفي إلى الكويت نقطة تحول في النشاط السياسي لشيعة الكويت والحساوية كانوا تحت إشراف وتوجيه الميرزا موسى السليمي الحائري، وهو الذي تولى قيادة هذه المجموعة بعد وفاة أخيه الميرزا حسن الحائري الإحقاقي.

مع أن شيعة الكويت يمتلكون نسبة سكانية لا بأس بها، إلا أنهم إنعزلوا سياسياً بعد عزوفهم عن المشاركة في الحركات القومية العربية التي رَوّجَ لها جمال عبد الناصر أكثر من غيره. ومع ذلك وبعد قدوم عددٍ من علماء العراق إلى الكويت في خمسينات القرن الماضي، اتسع نطاق نشاطهم في الساحة الاجتماعية، وبات حضورهم أكثر تأثيرا من ذي قبل.

كانت حصة الشيعة في مجلس الأمة الكويتي لا تتجاوز خمسة مقاعد في الستينيات. والسبب كان يكمن في تقسيم الدوائر الانتخابية، ذلك أن منطقة القبلة السنية حظيت بـ ٥ دوائر، لكن منطقة الشرق الشيعية لم تحظ إلا بدائرتين. وهذا ما جَرَّ الشيعة تدريجياً إلى المعارضة السياسية. ومع ذلك ينبغي القول بأن العلاقات كانت حسنة بين كبار تجار الشيعة والحكومة. وبفعل هجرة وتردد عدد أكبر من العلماء والسياسيين العراقيين، لاسيما المنتمين إلى حزب الدعوة، وكذلك عدد من المناضلين الإيرانيين، باتت الجبهة السياسية الشيعية في الكويت أكثرُ نشاطا وأكثر تماسكا. ولو أنهم لم يفلحوا في ترضية الحكومة لتوافق على تأسيس المجلس الشيعي الأعلى، لكنهم أسسّوا في منتصف السبعينات جمعية مماثلة بعنوان مجلس السبت لتنسيق مواقف الشيعة وتوجهاتهم. وسمي المجلس بالسبت نظرا لانعقاد اجتماعاته في ليالي السبت.

انطلقت فعاليات الشيعة الثقافية بالكويت في السبعينات، وأسفَرتْ عن نشر الكثير من الكُتيبات الإسلامية، وحتى الدوريات. والحركة الأخرى التي ظهرت في الكويت بنحو مستقل، هي الحركة التي وضع أساسها المرجع الديني آية الله السيد محمد الشيرازي، واستمرت لعدة عقود، ولا تزال، بعنوان التيار الشيرازي. وكان السيد محمد الشيرازي قد دخل الكويت في سنة ١٩٧١ بعد أن حكم عليه بالإعدام في العراق، وأم الصلاة في مسجد الحاج عباس ميرزا حسين التراكمة في بنيد القار.

ظَهرتْ في الكويت حركةٌ متأثرة من نهضة الإمام الخميني، والثورة الإسلامية إبّان سبعينات حتى أواخر القرن الماضي، خطت خطواتها بعقلانية وقوة فائقة، وَعَمِلَتْ على تعزيز مكانة الشيعة باستخدام الظروف والقابليات المتاحة. وبتشييد مسجد شعبان في سنة انتصار الثورة الإسلامية، تَحَوّلَ هذا المركز إلى موطن التجمعات الكبيرة التي كان تطالب بتطورات في الأوضاع السياسية لصالح الشيعة. ومع اندلاع الحرب العراقية- الإيرانية، وَقَفَتْ حكومة الكويت بجانب صدام، بينما كان شيعة الكويت، ولاسيما الرجال السياسيون، يسعون وراء منع الحكومة من ذلك. ولما تعرضت الكويت للغزو العراقي في سنة ١٩٩١، بدا جليا بأن حكومة الكويت كانت قد راهنت على الجواد الخاسر، ولم تعرف العدو من الصديق إلا بعد فوات الأوان.

وبعد الحرب تبنى الشيعة والحكومة موقفا أكثر توازنا بالنسبة للآخر. وتحسنت العلاقات الكويتية- الإيرانية. هذا في حين أن الحكومة الكويتية كانت مضطرة على اتخاذ خطواتها وفقا للسياسات الأميركية.

وآخر ما طرأ في هذه الساحة، هو احتجاج الحكومة على حفل تأبين الشهيد عماد مغنية في الكويت، واعتقال عدد من منظمي الحفل والقيادات الشيعية لمدة قصيرة.

مساجد الشيعة وحسينياتهم

إن شيعة الكويت حاليا، ووفقا لبعض التقارير، لديهم ٦٥ مسجدا، وعدداً من الحسينيات، والحوزات العلمية. والسنة لديهم ١٣٥ مسجدا عامرا. وعادة ما يستخدم في الكويت مصطلح «الديوانية» بدل الحسينية.

وأحد أقدم مساجد الشيعة، هو مسجد الصحاف الذي يحمل تاريخا يمتد لـ ١٥٠ سنة، وقد بناه الميرزا موسى الحائري الإحقاقي في منطقة الشرق بالعاصمة الكويت. ومسجد شعبان الشرق كان يستقر فيه السيد عباس المهري وكيل الإمام الخميني، وإمام جمعة الكويت، واليوم يعدّ من أهم مراكز الشيعة في الكويت.

وهناك بعض الإحصائيات الأخرى التي تشير إلى وجود ٨٠٠ حسينية، وتكية، وديوانية في هذه الدولة، وعادة ما تُستَخدم لإقامة المناسبات الإسلامية. منها ١٢٥ حسينية كبيرة رسمية تحمل رخصة حكومية، والبقية أكثرها الديوانيات أو الحسينيات المنزلية. وجل الخطب والمراسم في هذه الحسينيات تجرى باللغة العربية، ما عدا حالات استثنائية باللغة الفارسية.

والديوانية في الكويت تعني البهو الكبير الذي يستخدم لإقامة مختلف المراسم، والشيعة الذين يستغلون كل ما يتاح لهم لنشر وتعظيم الشعائر الإسلامية، وَظَفّوا الديوانيات للاحتفالات، والمراسم، والخطب الدينية، فهي تُعدّ نقطة انطلاق تأسيس وإقامة الحسينيات في الكويت. وتختص بعض الديوانيات بعدد من الأسر مثل: ديوانية السيد علي موسى التقي، وديوانية الحاج محمد شفيع آخوند، وديوانية علي إسماعيل جمال، وغيرها من الديوانيات. ومعظمها كانت تقع في مناطق الشرق، والصوابر، والقبلة، وبمرور الأيام انتقلت إلى خارج سور الكويت القديم، وأقيمت في مناطق الميدان، والدسمة، والدعية.

واليوم تتواجد الحسينيات في أرجاء الكويت كافة ، وتقام مجالس العزاء الحسيني في العشرة الأولى من المحرم في مناطق مأهولة بالسكان مثل المنصورية، والدعية، والدسمة، والشرق، والرميثية. وأقدم حسينيات الكويت هي حسينية الجعفرية، وحسينية السيد عمران. والأخيرة تضرب في القدم، ويبدو أنها أُسِسَتْ في النصف الأول من القرن التاسع عشر. وبداية كانت ديوانية بحي البحارنة في ساحة الشرق.

وقد أُسست حسينية الخزعلية في سنة ١٩١٦، ثم حسينة آل ياسين في ١٩١٩، وحسينية البلوشيين في الجابرية، وحسينية السيد محمد الحسيني في السلوى، وحسينية السيد خلف في الرميثية، واحدة تلو الأخرى. والأمر كذلك بالنسبة للحسينيات الخاصة بالنساء.

تُعدّ الحسينية الجعفرية أقدم حسينية رسمية في الكويت، فقد تأسست سنة ١٨٢٥ وعرفت بـ أم الحسينيات، لأنها خرجت من أعماق تاريخ دولة الكويت. وكان بداية نشاطها في بيت وقفي متواضع، ثم أوقفها رسميا آية الله الحاج ميرزا علي

الحائري.

وكان يرتادها سابقا حكام الكويت وأفراد الأسرة الحاكمة، وكانت مركزا للتجمع لإثبات هلال شهر رمضان المبارك وهلال عيد الفطر السعيد، وهذا ما جبل عليه أهل الكويت من التآلف والمحبة والوحدة الوطنية مع نبذ الطائفية التي لم يكن لها مكان في هذا البلد. وفيها كان العلماء يجتمعون مع الحكام والمسؤولين بعيدا عن الحساسية والفرقة.

شيعة الإمارات العربية المتحدة

عند تلاقي الخليج ببحر عمان، يتقدم جزء من تربة الجزيرة العربية في البحر، وهو أشبه بشبه جزيرة على شكل مثلث. واليوم يعرف باسم الإمارات العربية المتحدة. ويطل رأس هذا المثلث على مضيق هرمز شمالا، أما قاعه فيحاذي الجزيرة العربية.

تأتي تسمية الإمارات نسبة إلى الإمارات السبع التي كونت اتحادا فيما بينها، وهي التي سميت بالإمارات المتصالحة في القرن التاسع عشر بعد المصالحة مع الدولة البريطانية، صاحبة القرار الأول فيها آنذاك. وأكبر الإمارات مساحة هي إمارة أبوظبي، العاصمة السياسية للدولة. أما إمارة دبي فهي العاصمة الاقتصادية، وتأتي بعد أبوظبي من حيث الأهمية.

والإمارات الخمس الأخرى، هي: إمارة الشارقة، وإمارة عجمان، وإمارة أم القيوين، وإمارة رأس الخيمة، وإمارة الفُجيرة. وتتمتع كل إمارة بحكومة محلية لها قوانينها المحددة الخاصة بها. أما الكلمة الأولى في السياسة الدولية والعلاقات الخارجية، والدفاع، فهي للحكومة الاتحادية في أبيظبي. ومؤسس دولة الإمارات العربية المتحدة بشكلها الحالي بعد الاستقلال من بريطانيا سنة ١٩٧١، هما: الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، والشيخ راشد آل مكتوم.

وأكثر من ٨٠ بالمئة من سكان دولة الإمارات العربية المتحدة هم من المهاجرين الوافدين من إيران، والهند، وباكستان، وفلسطين، وباقي الدول. أما الغربيين، فهم يكونون حوالي ٦ بالمئة من إجمالي السكان.

والإسلام هو الديانة الرسمية للدولة، ويتواجد فيها أيضا أعداد من المسيحيين، والهندوسيين. وغالبية المسلمين هم من أتباع المذهب المالكي، مع تواجد أعداد من الإباضية، والوهابيين. أما الشيعة فهم أقلية تقدر نسبتهم نحو ٢٠ بالمئة من إجمالي سكان الدولة. في حين أن بعض المصادر تقول بأن هذه النسبة لا تتجاوز ١٥ بالمئة. ومعظم الشيعة هم من الوافدين الإيرانيين الذين تضاعفت أعدادهم في السنين الأخيرة تضاعفا حادا. وغالبية الشيعة العرب هم من البحارنة الذين جاءوا من شرق الجزيرة العربية، مثل: البحرين، والأحساء، والقطيف.

ويتركز الشيعة في إمارة دبي، والشارقة، وأبوظبي، ولهم وجود محدود في بقية الإمارات الأخرى. ومقارنة بشيعة الكويت، والبحرين، ليس لديهم حي أو محلة خاصة، بل يتوزعون في مختلف الأحياء. وعادة ما يمكن رصد حضور الشيعة المكثف بمدينة دبي في يوم عاشوراء نظرا لخلوها من المارة والعابرين.

يغلب على المجتمع الشيعي في الإمارات مذهب الإمامية، وتتنوع أصولهم الإثنية- القومية إلى عرب، وهم البحارنة، وإيرانيين أو العجم، وأبرزهم اللاريون والأشكنانيون، وكراشية منطقة فارس. فبعد الثورة الإسلامية، أقام أكثر من نصف مليون إيراني في دولة الإمارات، وغالبيتهم يتواجدون في دبي؛ والهنود، ومنهم عدد من أتباع طائفة البهرة التي تنتسب إلى المذهب الإسماعيلي. تنعم الأقلية الشيعية بالازدهار الاقتصادي: فمعظم أفرادها يعمل في قطاع التجارة والأعمال الحرة.

يتمتع الشيعة بالحرية في ممارسة شعائرهم الدينية، ومثل باقي المواطنين، لا يوجد لهم أحزاب أو جمعيات سياسية، إذ لا يسمح القانون في دولة الإمارات بتأسيس الأحزاب أو إقامة التجمعات السياسية. وبسبب دورهم المفصلي في قطاع الاقتصاد، يعدّون أقلية فاعلة في الإمارات العربية المتحدة. ولهم فيها مجلس الأوقاف الجعفرية الخيرية، لكن منهاج الدراسات الإسلامية المتبع في المدارس الحكومية يدرس المذهب السني فقط. وللوهابية نفوذ ملحوظ في هذه الدولة.

ومن أبرز المساجد والمآتم الشيعية في دبي، مسجد الإمام علي، الذي يعد أقدم مساجدهم في الإمارة، وبالقرب منه يقع مأتم الحاجي ناصر، الذي أقيم في أواخر القرن التاسع عشر، ومأتم الكراشية. وكذلك حسينية اللارية.

أما في العاصمة أبوظبي، فلهم مسجد الرسول الأعظم، ومأتم البحارنة الكبير. وفي الشارقة يوجد لهم مسجد كبير اسمه الزهراء، وحسينية الزهراء، التي تعد من أقدم الحسينيات في الدولة برمتها.

وأقيم في دبي سنة ١٩٨٤، مسجد باسم مسجد الإمام الحسين من قبل منظمة الهلال الأحمر الإيراني، وبمتابعة ممثل قائد الثورة آنذاك. وهو اليوم وبجانب المركز الثقافي التابع له، يعدّ أهم مراكز نشاط الشيعة الثقافي. ويستقر فيه حاليا ممثل مرشد الثورة حجة الإسلام شاهجراغي منذ سنة ١٩٩٩.

ومن جملة نشاطاته الثقافية انتشار دورية النسيم، لليافعين من الشيعة الإيرانيين المقيمين في دولة الإمارات. ويضم المسجد مكتبة تحوي ما يقارب ١٠ آلاف مجلد. ومن أنشطته الأخرى يمكن الإشارة إلى إقامة شعائر صلاة الجمعة بخطبتين باللغة العربية واللغة الفارسية، وتنظيم جلسات تلاوة القرآن، وقراءة دعاء كميل، ودعاء الندبة، وإحياء المناسبات الإسلامية. وفي هذا المسجد يعتنق الإسلام سنويا ما بين ٣٠ إلى ٤٠ شخصا.

ومساجد الشيعة لا تتلقى أي تمويل أو مساعدة من الحكومة، فالشيعة هم الذين يمولون ويدفعون تكاليف مساجدهم وحسينياتهم. هذا في حين أنها تقوم بتمويل مساجد أهل السنة مباشرة وتشارك في بناءها.

شيعة قطر

تقع شبه جزيرة قطر في ساحل الخليج الجنوبي كجسر يربط الشرق بالغرب، والشمال بالجنوب. وهذا الموقع الجغرافي جعلها تتبوأ أهمية استراتيجية منذ أقدم الأيام. وباكتشاف النفط فيها سنة ١٩٤٩، دخلت قطر مرحلة جديدة سياسيا، واجتماعيا، واقتصاديا. فهي اليوم من أغنى دول العالم بفضل ذخائرها النفطية، وحقولها الغازية، وتحتل المرتبة الثالثة بين دول العالم من حيث احتياطي الغاز الطبيعي.

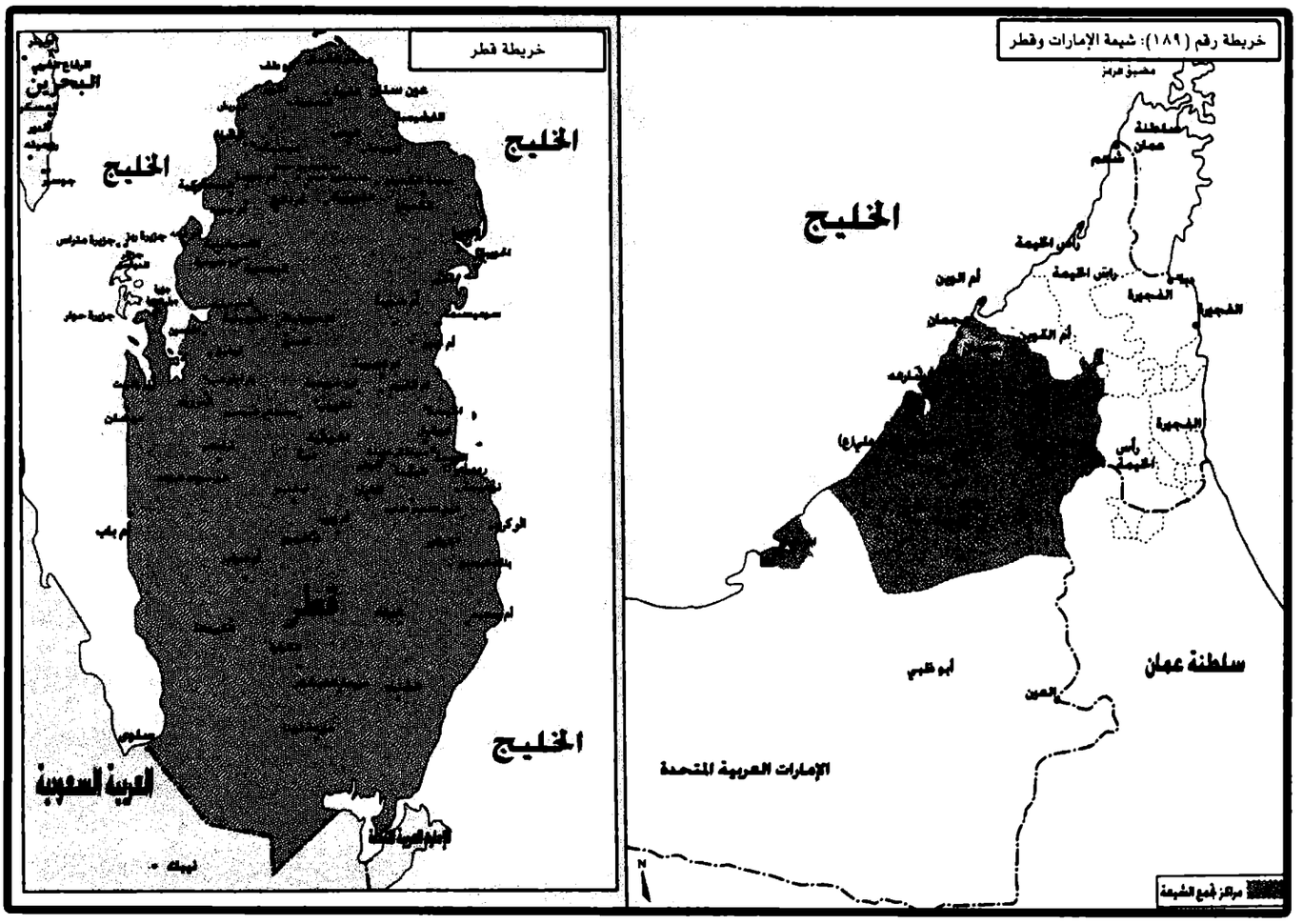

كانت شبه جزيرة قطر إحدى القواعد الإيرانية في العصر الساساني. وسرعان ما رافقت ركب الإسلام بعد ظهوره في الجزيرة العربية، ثم وَفَدَ إليها حكام من المدينة المنورة. وحتى الاستيلاء العثماني عليها في سنة ١٦٦٩، كانت قطر ترضخ لحكم إيران. ثم شهدت السيطرة البريطانية بعد أن استغل البريطانيون الخلافات القائمة بين العثمانيين وعرب المنطقة. وفي سنة ١٩٧١، استقلت قطر عن المملكة المتحدة، وهي اليوم تضم أكبر القواعد العسكرية للولايات المتحدة في المنطقة.

ولغة قطر الرسمية هي العربية، وينتشر فيها لغات أخرى مثل الإنجليزية، والفارسية، والأردية. وعاصمتها مدينة الدوحة، وهي مركزها المالي والتجاري. ومن أهم مدنها الخور، ومسيعيد، ودخان، وزبارة.

وكغيرها من بلدان الخليج، تُعدّ قطر من الدول المستقبلة للمهاجرين. إلا أن النسبة المرتفعة جدا لتدفق المهاجرين إليها، جعلها أكبر البلدان المستقبلة للمهاجرين بالنسبة إلى عدد سُكّانها، بنسبة ٧٨ بالمئة. فهي اليوم تضم العديد من المصريين، والفلسطينيين، والإيرانيين بمختلف قومياتهم، والبلوش، والمكرانيين، والباكستانيين، والهنود، والأفغانيين، والسريلانكيين، والتايلنديين، والفيليبيين، وكثير من الغربيين.

ويبلغ عدد الإيرانيين المتواجدين في قطر ٣٥ ألف شخص، ويعمل معظمهم في قطاع التجارة، ونسبة التجار اللارين أكثر من غيرهم.

وجل سكان قطر يدينون بالإسلام بنسبة ٩٨ بالمئة، وأكثرهم من أهل السنة، وأقلية من الشيعة الإمامية. وتتواجد أقليات من المسيحيين، والهندوس.

يقوم نظام الحكم في قطر على أساس الإمارة الوراثية الدستورية، وقد حكمها آل ثاني منذ القرن التاسع عشر. ومؤسسها هو الشيخ قاسم آل ثاني. وأميرها الحالي هو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولا يوجد فيها أية أحزاب، إذ يمنع الدستور القطري تأسيس الأحزاب والنشاط الحزبي.

شهدت قطر اتساع انتشار التشيع في العقود الأخيرة بسبب هجرة البحارنة، والإيرانيين، واللبنانيين إليها. ولما كانت الأسرة الحاكمة سنية متأثرة من الوهابية، انتشرت النزعة الوهابية في قطر بعد صعود آل ثاني إلى كرسي الحكم، وعززتها العلاقات القديمة بين السعودية وقطر، ونفوذ المذهب الحنبلي في هذه المنطقة. إلا أنها أخذت تنحسر وتخبو بعد نشوب الخلاف بين الدولتين منذ سنة ١٩٩٢. ومع ذلك، يمكن لمس تأثير عمق النزعة الوهابية في قطر، لاسيما في شؤون الأوقاف. وبفعل اهتمام أمير البلاد بحرية الإعلام والصحافة، ومع تأسيس قناة الجزيرة الفضائية، وفي ظل الخلافات الحدودية مع المملكة العربية السعودية، شهدت قطر في السنوات الأخيرة ظهور توجه أكثر اعتدالا بين سُكّانها السنة. والدور الأكبر في هذه التوجه، يضطلع به الإخوانيون، وبعض الفلسطينيين. وفضلا عن ذلك، تسعى قطر لتبوأ مكانة وثقل ثقافي في المنطقة كدولة عربية رائدة، مما يحتم عليها نوعا من إعادة النظر في الفكر المذهبي، ونبذ التعصبات؛ وهذا ما قامت به قطر وحققته. مما أدى إلى تراجع نفوذ الوهابية، وتزايد الحريات الفكرية في البلد.

وينحدر الشيعة في قطر من أصل عربي، وهم البحارنة. وبجانبهم العجم من أصول إيرانية. ولا يكون الشيعة أغلبية